

التحقيقات الاحمديه فى حماية الحقيقة المحمدية

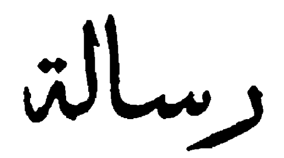
للشيخ العلامه المحقق الفهامة مولانا السيد
أحمد بن اسماعيل بن زين العابدين البرزنجى
مفتى الشافعية بالمدينة النبويه حفظه
الله تعالى ونفع بعلومه آمين

﴿ الطبعة الاولى ﴾

سنة ١٣٢٦ هـ



(طبعت بمطبعة السعادة بجوار محافظة مصر)



التحقيقات الاحمديه فى حماية الحقيقة المحمدية

للشيخ العلامه المحقق الفهامة مولانا السيد
أحمد بن اسماعيل بن زين العابدين البرزنجى
مفتى الشافعية بالمدينة النبويه حفظه
الله تعالى ونفع بعلومه آمين

﴿ الطبعة الاولى ﴾

سنة ١٣٢٦ هـ

على نفقة الشيخ أحمد مكي .. ومحمد أمين
الخانجى الكتبي وشركاه

باذن من المؤلف حفظه الله تعالي

(طبعت بمطبعة السعادة بجوار محافظة مصر)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أحاط بكل شئ علما وأحصى كل شئ عدداً • ولا تنفد كلماته ولو أن مافى الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر مدداً • فكل مفهوم واجباً كان أو ممكناً أو مستحيلا قد شمله علمه ازلا اجمالا وتفصيلا • فسبحانه من إله تقدست حقيقته عن مشابهة الحقائق • وليس كمثله شئ لان ماسواه مخلوق وهو الخالق • وهو العليم الذي ثبت في علمه الازلى حقائق الكائنات • على الوجه الذي خصصته ارادته القديمة من الممكنات المتقابلات • وأبرزته قدرته القاهرة • من عالم الغيب الى عالم الشهادة للباصرة • والصلاة والسلام على من كانت حقيقته المحمدية • فى المرتبة الاولى العلمية • نوراً وحيداً • وجوهراً فريداً • اندرج فيه العالم مما كان ويكون • بلا تميز لأعيان ولا شؤون • وانبثت أشعة الحقائق الفاعلية والقابلية منه في المرتبة الثانية • متمايزة ظاهرة لا تخفي منها خافية • بلا تقدم ولا تأخر بين المرتبتين بزمان • اذ كان ذلك ولا زمان ولا أكوان • وعلى آله الذين رسخت في العلم الظاهر والباطن أقدامهم • وأصحابه الذين اهتدت الي علم الحقيقة أحلامهم (أما بعد) فان الداعي لإعمال القلم • في تطريز هذه الكلم • انه قد سبق مني مع بعض اخواننا

المتحلين بحلية الفضل والعلم • المشار اليهم بالبنان في الذكاء والفهم • في الأيام الخالية • نحاور في بعض المطالب العالية • وهو مسئلة الحقيقة المحمدية وحقيقة الحقائق • والحق المخلوق به والتعين الاول وهي من غوامض الدقائق • عند أرباب علم الحقيقة • والمعارف اللدنية الدقيقة • فلما تجاذبنا أطراف المذاكرة • وسالت أذهاننا في أودية المحاورة • وجدته قد تصورها بخلاف موضوعها • وأوردها الى منهل ليس من مشروعها • حتي حمله ذلك على التحامل على العالم المحقق منلا ابراهيم الكوراني لما رآه خالف مافهم • وجرى على غير الذى علم • مع انه قد وفاها تحقيقاً • وكشف عنها نقاب الحيرة تدقيقاً • في بعض رسائله • الدالة على علو كعبه وفضائله • وشرع يورد عليه إيرادات غير واردة • ويلزمه بالزامات غير لازمة • فجمعت حيائذ في هذا المطلب الشريف • والمقصد المنيف • رسالة اقتبستها من مشكاة أنوار القوم • الذين اليهم الحل والابرام في هذا الروم • ولم آل جهداً في حسن ترتيبها • وتحقيقها وتهذيبها • نصرة للحق والصواب • وتحفة مقدمة الى أولى الالباب • ولكن بقيت مسودة في زاوية النسيان • لما عرض لى من شواغل الزمان • فبدا لي الآن • الاخذ في تبييضها واكمالها • ونسجها على أحسن منوالها • وضم ماتم به الفائدة في هذا الباب • من كل تحرير مستطاب • مستعيناً في جميع شؤني بحول الله وقوته • راجياً منه السلامة من الزلل بوقايته • وسميتها (التحقيقات الأحدية) في حماية الحقيقة المحمدية • ورتبتها على ثلاثة أبواب وخاتمة فاقول • وعن طلب توفيقه لا أحول •

﴿الباب الاول يشتمل على وسائل﴾

(الوسيلة الاولى) فى بيان معنى الحقيقة لغة واصطلاحا (إعلم) أيها الفطن الذكي الالمعي اللوذعي ان رسالتنا هذه لما كانت موضوعة بالذات الايضاح عن معنى الحقيقة الكلية التى يعبر عنها بالحقيقة المحمدية وحقيقة الحقائق والهيولى الخامسة وغيرها من العنوانات العديدة فى اصطلاح أرباب الحقيقة الذين يتكلمون فيما أطلعهم الله عليه من حقائق الامور الغيبية وأنجح بذل مهجهم في المجاهدة الخالصة ابتغاء رضوان الله جلى ذكره حال سلوكهم ومعاناتهم غوائل النفس والشيطان والهوى والدنيا في امتثال أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه بالصدق حتى فازوا بالمقصد الاعلى فى درجات القرب وللكشف عن مرادهم من تلك الاسماء وما رادفها مست الحاجة الى بيان معنى الحقيقة والهيولى فى اللغة واصطلاح غيرهم تتميما للفائدة * فأما الحقيقة فى اللغة فمأخوذة من الحق الذى هو مصدر حق يحق بالكسر والضم حقاً وحقوقاً أى صار حقاً وثبت قال الازهرى معناه وجب يجب وجوبا وحق عليه القول وأحققته أنا وفي التنزيل (قال الذين حق عليهم القول) أى ثبت [ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين] أى وجبت وثبتت وكذلك [لقد حق القول على أكثرهم] وحقه يحقه حقاً وأحقه كلاهما أثبته وصار عنده حقاً لا يشك فيه وأحقه صيره حقاً وحقه وحققه صدقه كذا فى لسان العرب * فعلم منه ان حق اذا كان فعلا ماضياً يستعمل لازماً

ومتعدياً فيصح أن تكون الحقيقة مأخوذة من الحق مصدر اللازم فتكون فعيلة بمعنى فاعلة أي الثابت والواجب بلا مرية ومن الحق مصدر المتعدي فتكون فعيلة بمعنى مفعولة أي المثبت الموجب كذلك والوجه الاول هو المذكور في كلامهم وعلى كل فالتاء فيه للنقل من الوصفية الى الاسمية كما في العلامة لا للتأنيث كما صرحوا به أيضاً وأخذ من الحق دون الحقوق لان المجرد أولى بذلك قال في لسان العرب والحقيقة ما يصير اليه حق الامر ووجوبه وبلغ حقيقة الامر أي يقين شأنه وفي الحديث لا يبلغ المؤمن حقيقة الايمان حتى لا يعيب مسلماً بعيب فيه يعني خالص الايمان ومحضه وكنهه وحقيقة الرجل ما يلزمه حفظه ومنعه ويحق عليه الدفاع عنه من أهل بيته والعرب تقول فلان يسوق الوسيقة وينسل الوديقة ويحمي الحقيقة فالوسيقة الطريدة من الابل سميت وسيقة لان طاردها يسقها اذا ساقها أي يقبضها والوديقة شدة الحر والحقيقة ما يحق عليه أن يحميه وجمعها الحقائق والحقيقة في اللغة ما أقر في الاستعمال على أصل وضعه والمجاز ما كان بضد ذلك وانما يقع المجاز ويعدل اليه عن الحقيقة لمعان ثلاثة وهي الاتساع والتوكيد والتشبيه فان عدم هذه الاوصاف كانت الحقيقة البتة وقيل الحقيقة الراية قال عامر بن الطفيل

لقد علمت عليا هوازن أنني * أنا الفارس الحامي حقيقة جعفر

وقيل الحقيقة الحرمة والحقيقة الفناء انتهى فتلخص منه للحقيقة سبعة معان ما يصير اليه حق الامر ووجوبه وخالص الشيء ومحضه

وما يحق على الرجل ان يحميه والراية والحرمة والفناء بالكسر والكلمة التى أقرت فى الاستعمال على أصل وضعه * وأما الحقيقة فى الاصطلاح فلها معنى في اصطلاح أهل البيان ومعنى في اصطلاح المتكلمين والحكماء ومعنى فى اصطلاح الصوفية فأما معناها في اصطلاح أهل البيان فهي الكلمة التى استعملت فيما وضعت له في اصطلاح التخاطب* والمجاز الكلمة التى استعملت في غير ما وضعت له في اصطلاح التخاطب* والفرق بين معنى الحقيقة على هذا الاصطلاح وبين أحد معانيها اللغوية وهو ما أقر في الاستعمال على أصل وضعه ان معنى الحقيقة في اصطلاح أهل البيان أعم لان مفهومها عندهم يعم الاستعمال فيما وضعت له فى اللغة حال التخاطب بها ويعم الاستعمال فيما وضعت له فى الشرع كذلك والاستعمال فيما وضعت له في كل صناعة وحرفة كذلك • وكذلك معنى المجاز فى اصطلاحهم أعم فيعم الاستعمال فى غير ما وضعت له على الوجوه المذكورة وان معناها المذكور فى اللغة أخص فيخص الاستعمال فيما وضعت له في اللغة لاغير ولا عبرة عندهم بالاصطلاح الطاري • وعلى قياس ذلك المجاز عندهم فبين المعنيين في كل من الحقيقة والمجاز عموم وخصوص مطلق فكل حقيقة في اللغة حقيقة عند أهل البيان وكل مجاز كذلك ولاعكس واذا صادفت الحقيقة معناها اللغوى كانت حقيقة لغوية واذا لم تصادفه بل معنى اصطلاحياً آخر كانت حقيقة عرفية • وكذلك المجاز • ويحصل من ذلك ان الكلمة الواحدة في استعمالها فى معني واحد حقيقة باعتبار • مجاز

باعتبار آخر كالصلاة اذا استعملت في الدعاء كانت حقيقة باعتبار اللغة مجازاً باعتبار الشرع واذا استعملت فى العبادة بمعنى الهيئة المعهودة كانت حقيقة باعتبار الشرع مجازاً باعتبار اللغة وقس على ذلك جميع الكلمات المنقولة من معانيها اللغوية الى الاصطلاحية *

وأما الحقيقة في اصطلاح المتكلمين والحكماء فهي معنى كلى يذلك المعنى الكلى يكون كل شيء هو هو سواء كان ذلك الشيء كلياً أو جزئياً فذلك المعنى الكلى يسمي بالحقيقة عندهم *وتنقسم الى حقيقة كلية كحقيقة الانسان وحقيقة جزئية كحقيقة زيد وقيل للاولى كلية وللثانية جزئية لان الانسان جزء لزيد وزيد كل للانسان لان الانسان حيوان ناطق مركب من الجنس والفصل فقط وزيد حيوان ناطق متشخص بمشخصاته الخاصة مركب من الجنس والفصل والمشخصات فلذلك كان الانسان جزأً لزيد وزيد كلا له فنسبت حقيقة الانسان الجزء الى كله الذي هو زيد مثلا فقيل لها حقيقة كلية ونسبت حقيقة زيد الكل الى جزئه الذي هو الانسان فقيل لها حقيقة جزئية . وهذا معني قولهم كل كلى جزء لجزئيه وكل جزئي كل لكليه * ثم الحقيقة الكلية تسمى ماهية بالهاء مأخوذة عما هو بالحاق ياء النسبة وحذف احدى الياءين للتخفيف والحاق التاء للنقل من الوصفية الى الاسمية لا للتأنيث وتسمى أيضاً مائية مأخوذة عن ما مرادفة لها وقيل الاصل مائية بالهمزة ثم قلبت هاء كما في قراءة هياك في اياك والحقيقة الجزئية تسمي أيضاً هوية قال السيد الجرجاني فى التعريفات وقد يقال

إن ما به الشيء هو هو باعتبار تحققه حقيقة وباعتبار تشخصه هوية ومع قطع النظر عن ذلك ماهية انتهى وفيه اشارة الى وجه المناسبة بين معنى الحقيقة لغة واصطلاحاً حيث كان مدارهما على الثبوت والتحقق ثم ان الحقيقة من حيث هي تارة تلاحظ بالنسبة الى الامور المباينة لها كالصاهلية والناهقيـة بالنسبة الى حقيقة الانسان فلا يشك حينئذ في كون الامور المباينـة لها مسلوبة عنها بمعنى انها ليست نفس الحقيقة المذكورة ولا داخلة فيها ولا عارضة لها وتارة تلاحظ بالنسبة الى الامور الخارجة عنها العارضة لها كالوجود والعدم والوحدة والكثرة فيقال حينئذ الانسانية من حيث هي انسانية ليست الا الانسانية أى الحيوان الناطق فليست حقيقة الانسان من حيث هى انسانية موجودة ولا معدومة ولا واحدة ولا كثيرة ولا شيأ من المتقابلات بمعنى إن شيأ منها ليس نفس تلك الحقيقة ولا داخلا فيها مقوما لها لا على انها ليست متصفة بشيء منها فانها يستحيل خلوها عن المتقابلات اذ لا بد لها من اتصافها بواحد من المتناقضين بل هذه أمور زائدة عن الحقيقة المذكورة تنضم اليها فتكون مع الوحدة واحدة ومع الكثرة كثيرة ومع الوجود موجودة ومع العدم معدومة وقس على هذا * وبالجملة اذا لوحظت حقيقة فى نفسها ولم يلاحظ معها شيء زائد عليها كان الملحوظ هناك نفس الحقيقة وما هو داخل فيها اما مجملا أو مفصلا ولم يكن للعقل بهذه الملاحظة أن يحكم عليها بشيء من عوارضها بل يحتاج في هذا الحكم الي أن يلاحظ أمراً آخر لم يكن ملحوظاً فى تلك الحالة لا مفصلا ولا مجملا

فيظهر ان تلك العوارض ليست للحقيقة في حد ذاتها فليست نفسها ولا داخلة فيها والا لما احتيج الى ملاحظة أخرى وأيضاً لو كان شئ منها نفسها أو داخلا فيها لما أمكن اتصافها بما يقابله • ومن هذا يعلم انها ليست مقتضية ولا مستلزمة لشيء من المتقابلات على التعيين وتارة تلاحظ بالنسبة الى الامور الداخلة فيها التي هي أجزاء مقومة لها كالناطق للانسان والصاهل للفرس والناهق للحمار التي هي فصول مقومة لتلك الانواع ولا تحقق الا بها فبالنظر الى كونها أجزاء داخلة فيها يصح السلب ويقال انها ليست عين تلك الانواع ولا يصح سلب مقوميتها اياها • وهناك ابحاث أخرى تتعلق بالحقيقة على هذا الاصطلاح محل بسطها كتب الكلام • والفرق بين الحقيقة على لغة العرب واصطلاح البيانيين وبينها على هذا الاصطلاح ان مدلولها على الاولين الكلمة فهو من قبيل أسماء الالفاظ ومدلولها على الاخير معنى من المعانى وبالله التوفيق * وأما الحقيقة في اصطلاح الصوفية بالمعنى الذي يعبر عنه عندهم بالحقيقة المحمدية وحقيقة الحقائق وغير ذلك فسيأتي بيانها في الباب الثانى ان شاء الله تعالى *

(الوسيلة الثانية) في معنى الهيولي لغة واصطلاحاً قال السيد الجرجانى رحمه الله في التعريفات لفظ يونانى بمعنى الاصل والمادة وفى الاصطلاح هي جوهر فى الجسم قابل لما يعرض لذلك الجسم من الاتصال والانفصال محل للصورتين الجسمية والنوعية انتهى • وقال السيوطي رحمه الله في المزهر وفى كتاب المقصور والممدود للاندلسى

الهيولى في كلام المتكلمين أصل الشيء فان يكن من كلام العرب فهو صحيح في الاشتقاق ووزنه فيعولى انتهى وهذا الوزن يقتضي ان الياء بعد الهاء فيها مشددة مضمومة وهو أحد الوجهين فيها *وقال فى القاموس مع شرحه للزبيدي والهيولى مقصوراً وتشدد الياء مضمومة عن ابن القطاع هو القطن وشبه الاوائل طينة العالم به لان الهيولى أصل لجميع الصور كما ان القطن أصل لانواع الثياب أو هو في اصطلاحهم موصوفة بما يصف به أهل التوحيد الله انه موجود بلا كمية وكيفية ولم يقترن به شئ من سمات الحدث ثم حلت به الصنعة واعترضت به الاعراض فحدث العالم هذا نص العباب* ثم نقل الشارح عبارة عن الشيخ المناوى في مهمات التعريف لفظها الهباء هو الذى فتح الله فيه أجساد العالم مع انه لا عين فى الوجود الا بالصورة التى فتحت فيه ويسمى بالعنقاء من حيث انه يسمع ولا وجود له في عينه وبالهيولى ولما كان الهباء نظراً الى ترتيب مراتب الوجود في المرتبة الرابعة بعد العقل الاول والنفس الكلية والطبيعة الكلية خصه بكونه جوهراً فتحت فيه صورة الاجسام اذ دون مرتبته مرتبة الجسم الكلى فلا تعقل هذه المرتبة الهبائية الا كتعقل البياض والسواد في الابيض والاسود انتهي*وهذا كله حكاية لطريقة الحكماء الاقدمين الذاهبين الى قدم العالم واثبات العقول العشرة والافلاك التسعة وان لكل فلك نفساً مدبرة له وان الحوادث الكونية متوقفة على الاستعداد الطبيعى في القابل عن الفاعل وذهبوا أيضاً الي انكار الجزء الذي لايتجزأ الذى

يتركب منه الجسم الطبيعي عند المتكلمين من علماء الاسلام فاحتاجوا أعني الحكماء لانكارهم الجزء المذكور الى اثبات الهيولى المذكورة وأما عند علماء الاسلام قاطبة فجميع العالم حادث بمعنى انه وجد بعد أن لم يكن والموجد لجميعه هو الله تعالى الفاعل المختار واستناد الآثار الكثيرة الى مؤثر واحد جائز عند العقل السليم وواقع قطعاً ولا يتوقف ايجاده تعالى لشيء من الموجودات على استعداد طبيعي أصلا بل هو قادر على ايجاد كل ممكن عن عدم كما بدأ أصل العالم عن عدم فلا عقل أول ولا نفس كلية ولا طبيعة كلية ولا هيولى وانما تلك عبارات عن موهومات تخيلوا وجودها لميلهم الى الاستبداد بعقولهم حين خوضهم في معرفة حقائق الاشياء مع عدم توفيتهم الادلة شروطها على قاعدة المنطق الذي هو ميزان الصحة والبطلان عند إعمال أفكارهم في اثبات تلك الموهومات ولو وفوها شروطها لأنتجت لهم بطلانها كما هو مبسوط في كتب الكلام ولتركهم الاستناد الى نصوص الشرائع التي جاءت بها الرسل من عند عالم الغيب والشهادة مع ان تلك النصوص العالية هو المرجع الوحيد في هذه المطالب المهمة فما جاءت ببيانه وجب علينا قبوله وما سكتت عنه سكتنا عنه اذ لا مجال للعقول البشرية القاصرة فيما وراء أستار الغيب وفوق طورها ولذلك نجد أفكار أولئك الحكماء وأفكار تابعيهم الى يومنا هذا في اضطراب وتناقض ففي كل زمان لهم طريقة جديدة ومذهب جديد مخالف لما قبله فما حكمنا به من بطلان الموهومات المذكورة هو الحكم الصواب والدين الحق وبالله العصمة *

(الوسيلة الثالثة) • فى بيان العموم والخصوص وأنواعهما والمراد بالعموم ما كان شمولياً ومعناه استغراق اللفظ لما يصلح له من المعاني وتناوله لها دفعة واحدة من غير دلالة على حصر لا كالعموم فى النكرة فى الاثبات سواء كانت مفرده أو مثناة أو مجموعة فان المفردة تدل على كل فرد فرد والمثناة على كل اثنين اثنين والمجموعة على كل جمع جمع على سبيل البدل ولا كالعموم فى اسم العدد كالخمسة مثلا فانها تدل على آحادها دفعة لكن مع الحصر فى نصف العشرة وعلى كل خمسة خمسة على سبيل البدل فما دل على أفراده دفعة بدون حصر وان كانت قليلة هو العام كالسموات وما دل على أفراده على سبيل البدل أو دفعة مع الحصر وان كانت كثيرة والاول النكرة فى الاثبات والثانى العدد ولو كألف ألف ليس عاماً * والعام الشمولى تارة يكون عمومه بالوضع بلا قرينة كالذى والتى أو بقرينة لفظية كالجمع المعرف بال أو الاضافة والمفرد المعرف بال أو الاضافة الى معرفة أو قرينة معنوية من العرف والعقل كما هو مبسوط فى محله * والخصوص عدم الشمول على الوجه المذكور كما فى النكرة المذكورة واسم العدد وكما فى العام الذى أخرج منه بعض أفراده بقرينة لفظية كالاستثناء والشرط والعهد بال أو الاضافة أو بقرينة معنوية كما فى قوله تعالى [الله خالق كل شيء] فانا ندرك انه تعالى ليس خالقاً لنفسه *

(تنبيه)

اعلم ان للالفاظ العامة كالحقيقة والذات وغيرها استعمالين (أحدهما) أن يراد بها مفهوماتهـا الكلية لا شئ مما صدقاتها بخصوصه كلية كانت أو جزئية فتصدق حينئذ على أفراد متماثلة الحقائق وغير متماثلة وتسمى فى هـذا الاستعمال عنوان الموضوع ومن ذلك وقوع الكلى مقسما كقولك الذات اما واجبة الوجود أو ممكنة ولا يلزم أن تكون أقسامه متماثلة الحقائق (ثانيهما) أن يراد بها شيء مما صدقاتها بخصوصه سواء كان تحته أفراد متماثلة الحقائق أو متباينة أو جزئياً متشخصاً فلا تصدق حينئذ الا على ما أريد منها وتسمى حينئذ ذات الموضوع فاذا جعلنا الذات عنوان الموضوع وقلنا الذات اما واجبـة الوجود وهو البارى تعالى واما ممكنة الوجود وهو ماسواه كان مفهومها مايصح أن يعلم ويخبر عنه أو مايقوم بنفسه وهو شامل لمن ليس جسما ولاجوهراً ولا عرضاً وليس كمثله شئ ولما هو جسم أو جوهر وكون القسيمين فى ذلك غير متماثلين ظاهر ــ واذا جعلنا الذات ذات الموضوع وقلنا الذات الواجبـة قديمة كانت من ليس جسما ولا جوهراً ولا عرضاً وليس كمثله شيء ولم تصـدق على غيره أو قلنا الذات الممكنة هي التي يجوز وجودها وعدمها كانت اما جسما أوجوهراً ولم تصدق على غيرها كما اننا اذا قلنا الحيوان انسان وفرس وحمار كان مفهومه الجسم النامي المتحرك بالارادة وهو شامل للناطق والصاهل والناهق وكون

هـذه القسمات فى ذلك غـير مماثلة الحقائق ظاهر واذا قلنا الحيوان الناطق قابل للكتابة كان هو الانسان لاغـير وعلى ذلك فقس *فتبين ان بين عنوان الموضوع وذات الموضوع فرقاً كبيراً وقد غفـل عن هذه الدقيقة كثير من المعتزلة فقالوا كلمة لاتقال ٠وعثروا عثرة لاتقال٠ انه تعالى ذاته مماثلة لسائر الذوات تعالى عن ذلك عـلواً كبيراً ومنشأ غلطهم الشنيع انهم رأوا ان الذات تقع مورداً للقسمة فيقال الذات اما واجبة أو ممكنة فتوهموا انه يلزم من الاشـتراك في مفهوم العنوان الاشتراك فى الحقيقة وقد علمت عدم لزومه *ويبطل هذا الوهم ايضاً انه لو شاركه غـيره في الحقيقة لخالفه بالتعـين لان المتشاركين في الحقيقة لا بد أن يتخالفا بتعين وتشخص حتى يمتازا ويتعددا ومابه الاشـتراك غير مابه الامتياز فيلزم التركيب في كل منهما وهو ينافي الوجوب الذاتى الثابت له تعالى المسلم عند الجميع فالتركيب المنافي له باطل فما أدى اليه واستلزمه وهو مشاركة غيره له تعالى في الذات والحقيقة باطل فثبت نقيضه وهو انه تعالى لاشريك له فى ذاته وحقيقته كما انه لاشريك له فى صفاته وأفعاله ٠ فتنبه لهذا التحقيق فانه مهم جداً وقد نبه عليه صاحب المواقف رحمه الله تعالى والله الهادى الى قصد السبيل*

(الوسيلة الرابعة) في ايضاح مذهب الشيخ الاكبر محي الدين بن العربي رضى الله عنه فى خصوص صفات البارى جل وعلا وذكر من وافقه عليه من كبار السادة الصوفية وبيان عـدم مخالفته لمذهب الامام أبى الحسن الاشعري رضي الله عنه في الحقيقة والمعنى بل في اللفظ فقط

(أما مذهب الشيخ الاكبر) رضي الله عنه فهو أن جميع الاسماء والصفات الالهية لسب واضافات ترجع الى عين واحدة صرح بذلك في الفتوحات في مواضع متعددة . منها مانقله الشيخ عبد الوهاب الشعراني في اليواقيت في المبحث الرابع عشر عن الباب السابع عشر انه قال: اعلم أن جميع الاسماء والصفات الالهية كلها لسب واضافات ترجع الى عين واحدة لا تصح هناك كثرة بوجود أعيان أخر كما زعمه بعض النظار ولو كانت الصفات أعياناً زائدة وما هو إله الا بها لكانت الالوهية معلولة بها . ثم لا يخلو أن تكون هي عين الاله فالشيء لا يكون علة لنفسه أو لا تكون عينه فالله تعالى لا يكون معلولا لعلة ليست عينه فان العلة متقدمة على المعلول بالرتبة فيلزم من ذلك افتقار الاله من كونه معلولا لهذه الاعيان الزائدة التي هي علة له وهو محال ثم ان الشيء المعلول لا يكون له علتان وهذه علل كثيرة لا يكون إلها الا بها فبطل ان تكون الاسماء والصفات أعياناً زائدة على ذاته تعالى الله عن ذلك انتهى وعن الباب السادس والخمسين انه قال اعلم يا أخي ان الاستقراء السقيم لا يصح في العقائد لأن مبناها على الأدلة الواضحة وقد تتبع بعض المتكلمين أدلة المحدثات فلم يجد فيها من هو عالم لنفسه فأعطاه دليله أن لا يكون عالم قط الا بصفة زائدة على ذاته تسمى علماً وحكمها فيمن قامت به ان يكون عالماً . قال وقد علمنا ان الحق تعالى عالم فلا بد أن يكون له علم ويكون ذلك العلم صفة زائدة على ذاته قائمة به قال الشيخ محيي الدين وهذا استقراء سقيم بل هو الله العالم القادر الخبير كل ذلك

بذاته لا بأمر زائد عليها اذ لو كان ذلك بأمر زائد على ذاته وهي صفات كمال لا يكون كمال الذات الا بها لكان كماله تعالى بشئ زائد على ذاته واتصفت ذاته بالنقص والفقر اذا لم يقم بها هـذا الزائد تعالى الله عن ذلك . فهذا هو الذي دعا بعض المتكلمين أن يقول في صـفات الحق تعالى انها غيره فأخطأ طريق الصواب انتهي . ثم نقل عنه كلاماً آخر يتضمن هذا المعنى بعينه أيضاً وقال فى الآخر فتلخص من كلام الشيخ انه قائل بأن الصـفات عين لا غير كشفاً ويقيناً وبه قال جماعة من المتكلمين وما عليه أهل السنة والجماعة أولى والله سبحانه وتعالى يتولى هداك . ونقل قبل ذلك فى المبحث بعينه عن سيدى على بن وفا رحمه الله انه قال اعلم ان الذات شيئ واحد لا كثرة فيه ولا تعـدد بالحقيقة وانما خاف المعتزلة من تعدد القدماء من جهة اعتبار تعينها بالصـفات وذلك انما هو تعدد اعتبارى والاعتبارى لا يقدح فى الوحدة الحقيقية كفروع الشجرة بالنظر لاصلها أو كالاصابع بالنظر للكف انتهى (قلت) اذا علمت ذلك يمكن الجمع بين مذهب الشيخ الا كبر رضى الله عنه ومذهب الاشعري رضى الله عنه بما ذكره العلامة الكورانى في قصد السبيل في أثناء كلام طويل يتعلق بصفات الباري جل وعلا حيث قال بعد ان نقل عن الامام الاشعرى انه قائل بأن صـفات البارى تعالي ليست غير الذات ولا هي هو ان معنى ذلك هو ماذكره صاحب المواقف من انها لا هي هو بحسب المفهوم ولا هي غـيره بحسب الخارج والفرق حينئذ بين مذهبه ومذهب المعتزلة والحكماء هو أن أسماء الله تعالى

توقيفية عند الشيخ ولم يرد اطلاق العلم وغيره من مبادئ المحمولات عليه تعالى فلم يصرح بانها غيره فى المفهوم وعينه في الخارج وان كان لازماً من مذهبه لان هذه عبارة واضحة فى حمل المبادئ علي الذات حمل مواطأة ولم يرد ذلك وعبر بما عبر به من قوله لاهي هو ولاهي غيره لانها ليست كالاولى في وضوح الاستلزام المذكور فهي أبلغ في رعاية الادب الشرعي فان الشرع وان لم يرد بما هو نص في اطلاق العيلية ولكنه ورد بما يدل على نفى الغيرية حيث قال صلى الله عليه وسلم كان الله ولم يكن شئ غيره رواه البخارى فى كتاب بدء الخلق من حديث عمران بن الحصين رضى الله عنه فلو كانت الصفات موجودة فى الخارج بوجود زائد على وجود الذات كانت متميزة عن الذات في الخارج والتعقل بلا شبهة وحينئذ يصدق عليها انها غير الذات عند الجمهور بل وعند الشيخ وعامة الاصحاب وأطال فى ذلك ٭ ثم نقل عن السيد عفيف الدين الايجي تلميذ الاستاذ جلال الدين الدوانى عن حجة الاسلام الغزالى رضى الله عنه مانصه ان مشايخ الاشاعرة أرادوا بقولهم ان صفات الله بالنسبة الى ذاته لاهو ولاغيره هذا المعنى فمعناه ان الصفات ليست عين الذات باعتبار وليست غيره بالذات فحصله ان الصفة والذات متحدان ذاتا مختلفان اعتباراً ـ ثم قال والحاصل ان القول بزيادة الصفات وقدمها وانها مع ذلك لاهي هو ولا هى غيره انما هو بملاحظة التجلى فى المظهر الجامع الازلي الواحدى وهو صحيح والقول بأنها عين الذات في الخارج وغيرها في المفهوم بملاحظة الاطلاق

الذاتي الاحدى ولا تنافي بين القولين عند تحقيق الفرق بين المقامين وبالله التوفيق انتهي * وبهذا الايضاح تحقق ان الخلف بين الامام الاشعري والشيخ محي الدين رضي الله عنهما لفظي لا غير وتدبر ياأخى هذه الوسيلة واحفظها فان مسألة حقيقة الحقائق مبنية عليها كما ستعرفه ان شاء الله تعالي وهو المعين *

(الوسيلة الخامسة) في بيان الثبوت وأنواعه • اعلم ان الاشياء الثابتة التى هى الحقائق اما أن تكون ثابتة فى الخارج أو فى ذهن المخلوق أو فى القراءة أو فى الكتابة أو في علم البارى تعالى لان الثابت اما أن يكون ثبوته وتحققه الحاصل له ثبوتاً وتحققاً به تظهر أحكامه وتصدر عنه آثاره أولا • الاول هو الوجود المسمى عينياً وخارجياً وأصيلا كالوجود الخارجي للشمس مثلا فان آثارها من الاضاءة والتسخين به تظهر • والثانى هو الوجود المسمى ادراكياً فان كان المدرك هو المخلوق قارن ادراكه تصور المعلوم بصورة خيالية فى ذهنه بواسطة قوة التخيل القائمة بجسمه الطبيعى فالمعلوم في ذهنه صورة ذهنية وهو المسمي وجوداً ذهنياً وظلياً وهذا لا يترتب عليه شئ من الآثار الخارجية اذ من المعلوم ضرورة انك اذا تصورت الشمس لم يترتب على ذلك اضاءة ولا تسخين لكونهما من لوازم الوجود الخارجي والوجود فى القراءة والكتابة حكمه كذلك وان كان المدرك هو الله تعالى لم يقارن ادراكه تصوره لان التصور متوقف على وجود قوة التخيل فى المدرك وهى تابعة للجسم الطبيعي والله سبحانه وتعالى منزه عن ذلك فمن لم يكن كذلك

فهو يعلم الاشياء بحقائقها لا بصور خيالية حاصلة له فالحق سبحانه وتعالى هو النور المحض الذي ليس كمثله شيء فلا صورة للمعلوم في ذاته بل يكشف الاشياء الثابتة في علمه على ماهي عليه في أنفسها من غير أن يكون لها صور خيالية في علمه تعالى فعلمه ادراك محض مجرد عن الصورة بدليل قوله تعالى (بديع السموات والارض) وذلك لان المبدع بفتح الدال هو المخلوق على غير مثال وجودي ولو ذهناً فلو كانت للاشياء صور خيالية ظلية في ذات الحق قبل ايجادها في الخارج كانت مخلوقة على مثال وجودي في ذات الحق تعالي ولو كان كذلك لم يكن الحق تعالى بديع السموات والارض لكنه بديع بالنص فلاصور ظلية للاشياء في علم الحق ثم الاشياء مخلوقة على مثال أنفسها في الثبوت الازلي وهو البرزخ بين الوجود المحض والعدم المحض لكن المثال الثبوتي لاينافي كون الحق بديعاً هكذا نقله المحقق الكوراني في قصد السبيل عن بعض أكابر أهل التحقيق * وهذا الوجود الادراكي الالهي أيضاً لا يترتب عليه شيء من الآثار الخارجية * ثم ان هذا الادراك الالهي الازلي محيط بجميع المفهومات من الواجب والمستحيل والممكن التي منها علوم المخلوقات ومعلوماتها * ولهذا العلم المحيط اعتباران (أحدهما) اعتبار كونه عين الذات (وثانيهما) اعتبار كونه ليس عينها فبالاعتبار الأول تكون الاشياء التي منها ذات الباري وكمالاته وشؤنه المحتوية على الحقائق كلها وأطوارها ثابتة فيه وبهذا الاعتبار يسمي نفس الامر ولا يقال فيه العلم تابع للمعلوم لانه قد اعتبر فيه انه عين الذات والمعلوم هو

الذات وما ذكر معه انما هو اعتبارات للذات لسبية لا توجد تعدداً حقيقياً فلا يتصور فيه حينئذ تبعية لأن التبعية تقتضي التعدد والمغايرة اذ لابد لتحققها من تابع ومتبوع ولا تعدد ولا مغايرة بين العلم والذات عند اعتبار كونه عينها وبالاعتبار الثاني الذي به يعتبر تعلقه بالمعلوم يصح أن يقال العلم تابع للمعلوم لتحقق التعدد الاعتبارى المستلزم للمغايرة الاعتبارية الكافية في مثل هذا المقام * ثم ان الاشياء في ثبوتها العلمى الأزلي معان محققة مجردة عن الصورة الخيالية مطلقاً كما يشير اليه قولهم علم الحق سبحانه بالأشياء حضورى لاحصولي ولما بيناه سابقاً وكلما كان كذلك لم يمتنع قيامها بالحق سبحانه فقد حكي صاحب المواقف اتفاق العقلاء على جواز تجدد الاضافات والنسب على الحق سبحانه ومن الواضح ان جواز تجددها فرع جواز أصل اتصاف الحق بها وقيامها به سبحانه فاذا حصل الاتفاق على جواز تجددها فقد حصل الاتفاق على جواز أصل قيامها به تعالى وانما كانت الاشياء المعلومات لها نوع تحقق وثبوت فى علم الحق باعتبار كونه عين الذات ووجوده غير الوجود الخارجي لانها لو لم يكن لها نوع تحقق وثبوت في علم الحق بالاعتبار الاول أزلا لكانت اعداماً صرفة بالضرورة اذ كان الله ولم يكن شيء غيره فى الازل فلا وجود للاشياء في الخارج ولا في ذهن مخلوق اذ لا مخلوق فى الازل وقد فرضنا عدم تحققه وثبوته فى العلم الازلى أيضاً وكل ما كان كذلك فهو عدم صرف واذا كانت أعداما صرفة امتنع تعلق العلم بها بالاعتبار الثانى بالضرورة لانه لا بد للعلم

من نسبة بين العالم والمعلوم وهى المعبر عنها بالتعلق وهو انما يتصور بين أمرين متمايزين ولا تمايز الا بان يكون لكل منهما ثبوت في الجملة ومن المعلوم أن العدم الصرف لاثبوت له أصلا والا لما كان عدما صرفاً فلا تميز له أصلا فلا يصح أن يكون أحد طرفي النسبة التى هى التعلق ولكن علم الحق سبحانه محيط أزلا بجميع المفهومات قطعاً فلها تمايز فلها نوع تحقق وثبوت في العلم أزلا وهو المطلوب * ويؤيد هذاماذكره الشيخ عبد الوهاب الشعراني رضي الله عنه فى المبحث الحادى عشر من اليواقيت قائلا قال الشيخ محي الدين رضى الله عنه في الباب الثالث والخمسين وثلثمائة لم تزل الممكنات كلها مشهودة للحق تعالى وان لم تكن موجودة فما هى له مفقودة فهى في حال عدمها مرئية للحق مسموعة ولايتوقف مؤمن في تصور ذلك فان الله على كل شيء قدير اه (فان قلت) ما المراد بذلك الشيء الذى وصف الحق تعالى نفسه انه قدير عليه هل هو ما تعلق بالعدم المحض أم العدم الاضافي فالجواب المراد به ما تضمنه علمه القديم من الاعيان الثابتة في العلم الذى هو العدم الاضافى وليس المراد به العدم المحض لان العدم المحض ليس فيه ثبوت أعيان (قلت) قوله الذى هو العدم الاضافى وصف لما تضمنه علمه القديم لا للعلم فلا تغلط (قال) ويؤيد هذا قول الشيخ فى لواقح الانوار فى قوله تعالى ان الله على كل شئ قدير على شئ تضمنه علمه القديم فان ما لم يتضمنه علمه فليس هو بشئ وكذلك يؤيد ذلك قول الشيخ فى الباب التسعين من الفتوحات لا تتعلق قدرة الحق الا بشئ موجود

في علمه تعالى لقوله تعالى ان الله على كل شيء قدير فنفى تعلق قدرته تعالى على ما ليس بشيء مما لم يتضمنه علمه القديم • قال وايضاح ذلك ان لا شيء لا يقبل الشيئية اذ لو قبلها ما كانت حقيقته لا شيء ولا يخرج معلوم قط عن حقيقته فلا شيء محكوم عليه بانه لا شيء أبداً وما هو شيء محكوم عليه بانه شيء ابداً • تمت عبارة الامام الشعراني رضى الله عنه وليكن هذا التحقيق على ذكر منك ينفعك فى فهم معنى حقيقة الحقائق والله المستعان •

(الباب الثانى) فيما هو المقصود بالذات من تأليف هذه الرسالة وهو الشيء الثالث في مصطلح الصوفية وبيان المراد به عند الشيخ الاكبر واثبات انه المعبر عنه في كلامه وكلامهم بالتعيين الاول والوحدة الحقيقية واحدية الجمع وحقيقة الحقائق والحقيقة الكلية والهيولى الخامسة وهيولى الهيولات والحقيقة المحمدية والحق المخلوق به وغير ذلك من التعبيرات الاصطلاحية المشار بها الى ذلك المعنى وبيان ان اختلاف التعبيرات انما هو بالنظر الى اختلاف الاعتبارات الملحوظة فى ذلك المعنى لا بالنظر الى اختلاف حقيقة المعنى لأنه شيء واحد بالذات كما ستعرفه وتحقق لديك تحققاً لا يبقى معه ريب ان شاء الله تعالى • ونبدأ أولا ببيان معنى الشيء الثالث وتوضيحه ثم نثنى العنان الى بيان معنى تلك الكلمات المسرودة على وجه يظهر معه ان المراد منها ومن الشيء الثالث شيء واحد فنقول • قال الشيخ الاكبر العلم الاشهر الشيخ محيي الدين نفعنا الله ببركاته في كتاب انشاء الدوائر فيما نقله العلامة المحقق

الجامع بين الشريعة والطريقة السابح الماهر فى بحر الحقيقة الشيخ ابراهيم الكورانى فى رسالته المسماة المسلك الانور الى معرفة البرزخ الاكبر وأما الشيء الثالث فما لا يتصف بالوجود ولا بالعدم ولا بالحدوث ولا بالقدم ـ ثم قال بعد ذلك وهذا أصل العالم وأصل الجوهر الفرد وفلك الحياة والحق المخلوق به ـ ثم قال بعد ذلك فسمه ان شئت حقيقة الحقائق انتهى * وأقول اعلم ان ما يمكن أن يعبر عنه بلفظ شيء ثلاثة أقسام • الشيء الاول واجب الوجود وهو ذات الحق سبحانه وتعالى • والشيء الثاني الموجود الخارجي وهو النور المحمدى الذي ابرزته القدرة الالهية من عالم الغيب الى عالم الشهادة نوراً وحيداً ثم خلق منه جميع الكائنات كما سيأتى توضيحه في الباب الثالث ان شاء الله تعالى • والشيء الثالث هو المذكور في عبارة الشيخ محيي الدين المذكورة آنفاً • اذا علمت ذلك نقول ان هذا الشيء الثالث لا يخلو من ان يكون شيأ إما بسبب وجوده الخارجي أو بسبب وجوده الظلى الذهنى أو بسبب تحققه وثبوته العلمي الازلى أو بقطع النظر عن هذه الاعتبارات لا يجوز أن يكون شيأ بسبب وجوده الخارجي لانه قال فيه انه لا يتصف بالوجود والوجود اذا اطلق انما ينصرف الى الخارجي فالوجود المنفى عنه هو الخارجي وما انتفى عنه لا يصح ان يكون شيأ به وأيضاً لانه وصفه بأنه أصل العالم والعالم هو الموجود الخارجي باسره وما كان هو أصلا له فهو غيره ضرورة ان الاصل غير الفرع واذا كان غيره فهو غير الموجودات الخارجية كلها فهو غير موجود فى

الخارج فليس شيأً بسبب الوجود الخارجي ولا يجوز أن يكون شيأً
بسبب وجوده الظلي الذهني لأنه يستدعي وجود مخلوق ذي ذهن
يتصوره فشيئيته متوقفة على وجود بعض العالم الذى هو المخلوق
ذو الذهن وذلك يقتضى أنه فرع بعض العالم وقد تقرر انه أصل العالم
فليس فرعاً لشئ منه فليست شيئيته متوقفة على وجود بعض العالم
المذكور فليس شيأً بسبب الوجود الظلي الذهنى ولا يجوز أن يكون
شيأً بقطع النظر عن الاعتبارات كلها لأن ما هو كذلك فهو معدوم
محض والمعدوم المحض ليس شيأً إما باتفاق العقلاء قاطبة ان فرضناه محالا
وإما على المذهب الحق ان فرضناه ممكناً لان كون المعدوم الممكن شيأً
في نفسه بقطع النظر عن الاعتبارات انما هو مذهب المعتزلة ما عدا أبا
الحسين البصري وأبا الهذيل العلاف وقد أقيم البرهان القاطع عند
الاشاعرة والحكماء ومن وافقهم على بطلان ذلك ومحل بسطه فن
الكلام • وأيضاً فقد سبق فيما نقلناه عن الشيخ محي الدين رضى الله عنه
في الوسيلة الخامسة ما هو صريح في ان المعدوم المحض ليس شيأً أبداً
وهو المظهر للشئ الثالث فلا يجوز حمله على المذهب الباطل الذي هو
خلاف مذهبه فثبت ان الشئ الثالث ليس شيأً بقطع النظر عن
الاعتبارات واذا بطلت الاحتمالات الثلاثة تعين الاحتمال الرابع وهو
ان يكون شيأً بسبب تحققه وثبوته العلمى الازلي وهو المطلوب ولا
يخفى انه يلزم من بطلان كونه شيأً بسبب الوجود الظلي الذهني بطلان
كونه شيأً بسبب الوجود الكلامى والكتابى الحادث لأن الكتابي

متوقف على الكلامي ضرورة ان الكتابة انما تدل على المعنى بواسطة دلالتها على الكلام والوجود الكلامي متوقف على الوجود الظلي الذهني ضرورة توقفه على الوضع أو التكلم أو فهم المخاطب المتوقفات على حصول المعنى فى الذهن الحادث ان كان الواضع حادثاً وان كان الواضع هو الله لم يضرنا كون هذا الوضع غير متوقف على الذهن الحادث لأن المآل الى الحضور العلمي الازلي وهو المطلوب* بقى ان هناك احتمالا خامساً لم نذكره وهو انه يجوز ان يكون الشيء الثالث شيأ بسبب وجوده الكلامي الازلي ولكن هذا أيضاً لا يخل بالمرام لان هذا الشيء الثالث كما ستعرف هو حقيقة الحقائق وهو عبارة عن مقام تحد فيه الصفات الالهية فلا مغايرة هناك بين الوجود العلمي والوجود الكلامي الازليين اذ الكثرة هناك وحدة كما ستعلم ان شاء الله تعالى* وبعد وصولنا الى هذا الموضع اطلعنا على كلام العلامة عبدالله الصلاحي الصوفي المحقق في كتابه طوالع منافع العلوم من مطالع مواقع النجوم يؤيد برهاننا المذكور وان كان لا غبار عليه فاحببت ذكره. قال قالت طائفة القدماء ثمانية الذات والسبع الصفات وقالت طائفة ما ثم قديم الا واحد وهو الحق تعالى وهو واحد من جميع الوجوه ولذاته حكم تسمي به قادراً وهكذا كل ما جعلوه هؤلاء من صفته وقالت طائفة بقول هذا وزادت معنى وذلك المعنى يسمى حقيقة الحقائق وهى لا موجودة ولا معدومة ولا محدثة ولا قديمة لكنها في القديم قديمة وفي المحدث محدثة تعقل ولا توجد بذاتها كالعالمية والقائلية وما أشبه ذلك فاذاً فما ثم في الازل الا واحد بمعنى

انه ما انتفت[1] الاولية الا لواحد لكن لنا في الازل حكم بوجه فانا قد علمنا انا معلومون لله تعالى ولا عين موجودة لنا وان الاشياء لها اربع مراتب في الوجود وجود في العلم ووجود في العين ووجود في الكلام ووجود في الرقم فلنا بهذا الحكم في الازل مرتبتان في الوجود • المرتبة الواحدة الاولى مقطوع بها وهي مرتبة وجودنا في علمه • والاخرى غير مقطوع بها على ما قدمنا وهو وجودنا في الازل من كونه قائلا أو متكلما • وقد ذكرنا منه طرفا فيما تقدم من هذا الكتاب وقد ذكرنا هذا الفصل مستوفي محققا في كتاب الجداول والدوائر لنا فلينظر هنك انتهى • ولا يخفى ان هذا الكلام مؤيد لما قلناه بل عينه في معناه فلله الحمد والمنة • وقوله والاخرى غير مقطوع بها الظاهر ان مراده انها غير مقطوع بها عند الجميع للخلاف الواقع بين مذهب أهل الحق وبين المعتزلة فاهل الحق مثبتون للكلام الازلي والمعتزلة نافون والا فالوجود الكلامي الازلي مقطوع به عند أهل الحق بلا مرية فتفطن وبالله التوفيق *

وبما تحرر اتضح لديك معنى الشيء الثالث وبقي الآن علينا ان نفي لك بما وعدنا به وهو بيان ان التعين الاول وما عطف عليه من الفاظهم الاصطلاحية عين الشيء الثالث المذكور وتطبيقها عليه • وقبل الشروع في ذلك نذكر لك عبارة جامعة في هذا المقصد للمحقق الشيخ ابراهيم الكوراني لانها قطب رحى الكلام في هذا المرام ثم نعقبها بعبارة مفصلة مقتبسة معانيها من كلام ارباب هذا الفن توضيحاً لتلك العبارة وتسهيلا

---

(١) هكذا في الاصل فليحرر اه

لفهم المراد. فنقول قال العلامة المذكور في بعض رسائله اعلم ان المحققين من المشايخ نفع الله بهم قالوا ان التعيين الاول أول مرتبة الذات الاقدس وأول مراتب العلم من حيث انه عين الذات لا نعت زائد عليها والعلم بحسب المرتبة الاولى التي هي التعين الاول هو ظهور الذات لنفسه باندراج اعتبارات الواحدية فيها فانه علم ذاته فقط وأما في المرتبة الثانية فهو ظهور الذات لنفسها بشؤنها من حيث مظاهر تلك الشؤن المسماة صفات وحقائق فيها فكان متعلقاً بمعلومات متميزة متغايرة والكل عين واحدة في الوحدة الحقيقية التى هى عين التعين الاول الذى هو أول مراتب العلم وهذه الوحدة الحقيقية انتشت منها الاحدية والواحدية الاحدية سقوط الاعتبارات عنها بالكلية والواحدية ثبوت الاعتبارات لها مع اندراجها فى أول مرتبة الذات فالوحدة الحقيقية هى البرزخ الجامع بينهما وأصل كل قابليته وفاعليته ولهذا عبروا عنها بحقيقة الحقائق والحقيقة المحمدية يشيرون بها الى هذه الحقيقة المسماة بحقيقة الحقائق لكونها أصل كل حقيقة الهية وكونية واذا كانت المعلومات المتميزة من الصفات وغيرها في المرتبة الثانية عينا واحدة فى المرتبة الاولى فالعلم عين الذات كسائر الصفات وهذا معنى اجمال العلم لكون المعلومات مجملة في ذواتها مع كونها معلومة لله تعالى على التفصيل اذ لا اجمال فى علم الحق تعالى عند الشيخ محيي الدين نفعنا الله به وهذه آخر العبارة المقصودة ونشرع الآن في المقصود بعون الملك المعبود ونحصر الكلام في ذلك فى مسائل

(المسئلة الاولى) في توضيح معنى العبارة المذكورة بما تحقق لدينا من نصوص القوم • فنقول أيها اللوذعي الكامل انك قد تحقق لديك واتضح وضوحاً لاخفاء معه مما سردناه عليك سابقاً من الوسائل ان جميع المفهومات ثابتة في علم البارى تعالى ازلا وابداً باعتبار كونه عين الذات الاقدس تعالى وان جميع الاسماء والصفات الالهية نسب واضافات ترجع الى عين واحدة عند الشيخ محيي الدين رضي الله عنه ومن وافقه والعبارة التى نريد توضيحها وبيانها هى عبارة مبنية على طريقته ومذهبه فيتعين ان يكون التوضيح على الوجه الذى يوافق مذهبه • فنقول اعلم ان للعلم القديم عند الشيخ محيي الدين ومن وافقه من الصوفية الأعلام كما يؤخذ من لطائف الأعلام وغيره مرتبتين مرتبة أولى وهي مرتبة اجمال العلم ومرتبة ثانية وهي مرتبة تفصيل العلم • فالعلم بحسب المرتبة الاولى يعتبر عين الذات الاقدس تعالى عندهم وهو ظهور الذات لنفسه باعتبار اندراج اعتبارات الوحدة فيها مع تحققها فيكون متعلقاً بمعلوم واحد فلفظه بحسب هذه المرتبة متعد الى مفعول واحد فانه علم ذاته فقط والعلم بحسب المرتبة الثانية يعتبر مغايراً للذات الاقدس مغايرة اعتبارية وهو ظهور الذات لنفسها بشؤنها من حيث مظاهر تلك الشؤن المسماة صفات وحقائق فيكون متعلقاً بمعلومات متميزة متغايرة فلفظه بحسب هذه المرتبة متعد الى مفعولين فانه تعالى ظهر لنفسه بنفسه ذا حياة وذا علم وذا قدرة وذا كلام وذا جود وذا عدل بالنظر الى المرتبة الاولى التى هى مرتبة اجمال العلم

الوحدة حقيقية والكثرة نسبية وبالنظر الى المرتبة الثانية التي هي مرتبة تفصيل العلم الكثرة حقيقية والوحدة نسبية مجموعة لجميع الحقائق الالهية التي هي الاسماء والصفات والحقائق الكونية التى هي متعلقاتها في مرتبة اجمال العلم تسمى شؤناً واعتبارات مجتمعة منظوراً اليها بعين الوحدة الحقيقية والكثرة النسبية ومندرجة فى الذات الأقدس الأحد وفي مرتبة تفصيل العلم تدعى حقائق متميزة متغايرة وأعياناً ثابتة منظوراً اليها بعين الكثرة الحقيقية والوحدة النسبية ففى المقام الأول الكثرة مستهلكة فى الوحدة ومعنى ذلك علم المفصل في المجمل * وتقريبه بالمثال مشاهدة العالم العاقل بعين البصيرة العاقلة ما في نواة واحدة بالقوة من الاغصان والاوراق والثمر الذى في كل فرد من الافراد مثل ما في النواة الاولى وهكذا الى غير النهاية • وفى المقام الثانى الوحدة مستهلكة في الكثرة وهو عكس ما تقدم ومعنى ذلك علم المجمل في المفصل بحيث يعلم احكام الوحدة جملة بعد جملة كل جملة بما اشتملت عليه من الماهيات * وتقريبه بالمثال أيضاً مشاهدة العاقل بعين البصيرة النواة الواحدة بجملة ما تشتمل عليه بالقوة في كل ما ظهر عنها من أجزاء الشجر خشباً وورقاً وثمراً و غير ذلك مما تشتمل عليه جملة وتفصيلا فعند محقق المقامين يظهر كل شيء في كل شيء * وحاصل ذلك ان المعلومات الثابتة في العلم الاقدس وهي الذات الاقدس وصفاته واسماؤه التي من جملتها العلم ومتعلقات ذلك التى هي الحقائق الكونية الابدية التي لا تتناهى وان كانت حقائق متمايزة متغايرة متكثرة متعددة الى عالم ذى علم ومعلوم

في مرتبة علم المجمل في المفصل اسكنها جميعها عبارة عن ذات واحدة مقدسة وهو العالم وهو العلم وهو المعلوم فى مرتبة علم المفصل في المجمل فهذه هي الوحدة الحقيقية التى ذكروا ان لها جهتين جهة ناظرة الى غيب اللاتعين واطلاق الذات المعبر عنها بالاحدية التى هي عبارة عن اعتبار الذات من حيث لا نسبة بينها وبين شيء أصلا ولا لشيء الى الذات نسبة أصلا وبهذا الاعتبار المسمى بالاحدية تقتضى الذات الغنى عن العالمين وتقتضي ان لا تدرك ولا يحاط بها بوجه من الوجوه أى اسقوط الاعتبارات والتعينات التى بواسطتها يمكن الادراك للذات بالوجه لاستحالة ادراك الكنه ـ وجهة ناظرة الى ثبوت الاعتبارات والتعينات لكن حال كونها مجملة ومندرجة فى وحدة الذات ويعبر عن ذلك بالواحدية فالواحدية اعتبار الذات من حيث انتشاء الاسماء عنها من حيث اتحادها فيها فكان اسم الذات واحداً اسما ثبوتياً لا سلبياً لكون الواحدية مبدأ انتشاء الاسماء من الذات اذ كانت الاسماء نسباً متفرقة عن ذات واحدة بالحقيقة والى هـذه الواحدية تستند المعرفة والبها يتوجه الطلب لثبوت الاعتبارات غير المتناهية لها مع اندارجها فيها في أول رتب الذات . وهذا معنى قولهم ان الوحدة الحقيقية ملشأ الاحدية والواحدية حيث كانت الوحدة عبارة عن اتحاد الاعتبارات والنسب والاضافات فهي صفة عارضة لها فيتوقف تحققها على ثبوتها ضرورة توقف الصفة على الموصوف ولا مرقى بعدها الا الى غيب الاحدية واطلاق الذات وسقوط الاعتبارات بالكلية فليست هناك لا صفة

الوحدة ولا ما اتصف بها ولا تعين ولا تجل ولا رتبة بل هناك الحيرة الصرفة وبهذا البسط والبيان اتضح معنى العبارة المذكورة * وبعد ذلك نقول ان الشيء الثالث هي الوحدة الحقيقية الواقع ذكرها في العبارة المذكورة لان الشيء الثالث عبارة عن جميع ما هو ثابت ومتحقق فى علم البارى وقد وصفه الشيخ محى الدين رضى الله عنه بصفات تقتضي شموله لجميع الحقائق الالهية والكونية حيث قال • انها تعم الحق والخلق ولا يتحقق فيه هذا العموم الا اذا كان عبارة عن جميع المعلومات الالهية العامة جميع ما ذكر والوحدة الحقيقة عبارة عن الهيئة الوحدانية الشاملة لجميع ما هو ثابت ومتحقق فى العلم القديم لما قدمناه من التحقيق الشافي آنفاً فهما عبارتان مختلفتان باللفظ متحدتان فى المصدق فهما شيء واحد وهو المطلوب *

(المسألة الثانية) في بيان ان هذه الوحدة الحقيقية التي شرحناها يعبر عنها بالتعين الاول الذى هو أول تجليات الذات الاقدس وأول رتبها وبيان سبب ذلك ان الحق تعالى بالنظر الى احديته واطلاق ذاته العلية التى هي عبارة عن غيب اللاتعين يستحيل ان يكون معلوماً أو مشهوداً الغيرة لان علم غيره له تعالى وشهوده بالنظر الي هذه الاحدية يتوقف على ادراك حقيقة الذات والاحاطة بها وبكنهها وذلك مستحيل عقلا وشرعاً وكشفاً كيف لا وقد قال تعالى (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير) فغاية منتهى سير العقول والافكار بل غاية معرفة المصطفين الاخيار معرفته بوجه من وجوه تجلياته

المقدسة التي يتنزل فيها لخلقه واعتبار من اعتبارات تعينات الالهية
ولما كان أى تعين يفرض من ذلك لا بد وان تتقدم الوحدة عليها تقدماً
وترتباً ضرورة ان كل كثرة وكثير تتقدم عليها الوحدة كانت الوحدة
الحقيقية هي التعين الاول وأول التجليات وأول رتب الذات الاقدس
التي بها يمكن شهود الحق تعالى اذ كانت عبارة عن وحدة التعينات أي
اعتبار كثرة التعينات شيأ واحداً الذي هو الشيء الثالث كما عرفت *
ولما كان الحق سبحانه لا يشغله شأن عن شأن وتنزهت ذاته الاحدية
ان تتقيد بقيد بل شأنه الجامع الاطلاق فهو في حال ظهوره لنفسه
بنفسه يظهر لنفسه بشؤنه ومظاهرها التي هي صفات وحقائق الهية
وكونية من غير تقدم ولا تأخر فمعلوماته حال كونها مجملة فى ذواتها
مفصلة اذ لا اجمال فى علم الحق تعالى • ولما وجب انتفاء الكثرة في
التعين الاول لكونه هو حقيقة الوحدة النافية لها مع تضمنها لنسب
الواحدية ولاعتباراتها لزم ان يكون التعين القابل للكثرة التي هي
صور للاعتبارات التي في ضمن الوحدة المذكورة تعيناً تالياً فذلك هو
التعين الثاني لا محالة لجميع الاسماء الالهية المنتهى اليها التأثير والفعل
وجميع الشؤن والاعتبارات المندرجة في الوحدة الحقيقية حال كونها
مجملة وحدانية فانها تصير منفصلة متميزة في هذا التعين الثاني الذي هو
ثاني رتب الذات التي تظهر فيها الاشياء وتتمايز ظهوراً وتمايزاً علمياً
وهذا التعين الثاني يسمى عندهم بمرتبة الالوهية وبالنفس الرحماني
وبعالم المعاني وبحضرة الارتسام وبحضرة العلم الازلي وبالحضرة العمائية

وبالحقيقة الانسانية الكمالية وبحضرة الامكان كل ذلك اسماء هذا التعين الثانى بحسب اعتبارات ثابتة فيه مع توحد عينه واذا كان التعين الاول هو الوحدة الحقيقية وهي الشيء الثالث كان التعين الاول هو الشيء الثالث بلا ريب *

(المسألة الثالثة) فى بيان ان الوحدة الحقيقية هى احدية الجمع وبيان ذلك انك قد علمت ان كل واحد من التعين الاول والتعين الثانى من رتب الذات الجامعة فالنسب والاضافات الثابتة لها وان كان محكوماً بالتفرقة بينها وبين الموصوف بها فى التعين الثاني أي فى المرتبة الثانية التي هي حضرة تفصيل المعلومات وتميزها فهي من حيث باطنها الذى هو شؤن الذات فى التعين الاول أى في المرتبة الاولى التى هي حضرة اجمال المعلومات وعدم تميزها عين الذات فلا غير ولا مغايرة هنالك فشأن المعلومات بالنظر الي المرتبتين متردد بين الوحدة والكثرة اللتين هما صورتان للنسب الذات الجامعة فالتفرقة الحاصلة بهاتين النسبتين تفرقة غير حقيقية فى نفس الامر حتى تصير مشتتة لشمل جمعية الذات لانها نسبة الذات في أول رتبها المحكوم فيه بنفى الغير والغيرية لأنها ليست ثم أوصافاً للذات بل هي عين الذات فالامر وحدانى اذ ليس ثم سوى ذات واحدة مندرج فيها نسب واحديتها التى هى عين الذات الواحدة * فحاصله ان النسب والاضافات بل الاوصاف والحقائق التى هي جمع كثير انما هى كثرة نسبية ووحدة حقيقية وهذا هو عين مقام أحدية الجمع الذى لا تصح فيه رؤية التفرقة بين الذات

من حيث تعينها وبينها من حيث اطلاقها أو قل بينها من حيث حقيقة الحقائق وبينها من حيث التجلى الاول لعلو هذا المقام وفوقيته على جميع المراتب المتفرقة فوقية بها يصير الوصف والموصوف أو قل الذات وشؤنها عين ذات واحدة بلا مغايرة ولا غيرية واليه الاشارة بقوله عليه الصلاة والسلام كان الله ولم يكن شئ غيره وقد قال من ترقى ذوقا وكشفاً الي هذا المقام

تحققت أنا في الحقيقة واحد وأثبت صحوُ الجمع محوَ التشتت

وقال أنا من أهوى ومن أهوي أنا — وقال تحققت انى عين من أنا عبده — وأمثال ذلك مما قد عرفت مما وضحناه المراد به واذا كانت الوحدة الحقيقية هي احدية الجمع فأحدية الجمع هي الشئ الثالث*

(المسئلة الرابعة) في بيان ان الوحدة الحقيقية هي حقيقة الحقائق والحقيقة الكلية* وايضاحه ان المحققين من أهل الكشف الصحيح اذا أطلقوا حقيقة الحقائق فتارة يفسرونها بباطن الوحدة الكلية وكونه أصلا جامعاً لكل اعتبار وتعين وباطناً لكل حقيقة الهية وكونية وأصلا انتشى عنه جميع ذلك وتارة يقولون هي اعتبار الذات الموصوف بالوحدة جلت عظمته من حيث وحدتها وجمعها للاسماء والحقائق وأحياناً يقولون انها الرتبة الانسانية الكمالية الالهية الجامعة لسائر الرتب التي هى حضرة أحدية الجمع وبها تم الدائرة ولا يخفى عند امعان النظر ان هذه التفاسير وان اختلفت في الالقاب فاختلافها اعتباري ومآلها كلها الى اعتبار واحد وهو أول مرتبة تعينت

في غيب ذات الله تعالى • وقد علمت ان المراد بذلك الوحدة الحقيقية بما يندرج فيها من شؤنها واعتباراتها غير المتناهية التي هي البرزخ الاول الاكبر الاقدم الذى هو الاصل الجامع لجميع البرازخ فمن حيث ان هذه الوحدة الحقيقية واحدة جامعة لحقائق كثيرة أضيفت اليها فقيل حقيقة الحقائق فالمضاف هو العلم باعتبار انه التعين الاول والمضاف اليه العلم باعتبار أنه التعين الثانى وهما شيء واحد باعتبار ومتغايران باعتبار * فمعنى التركيب بالاعتبار الاول الحقيقة التى هى عين جميع الحقائق ومعناه بالاعتبار الثاني الحقيقة المستغرقة المحيطة بجميع افراد الحقائق فما صدقه شيء واحد فى الاول وأشياء كثيرة فى الثانى ولهذه الكلية فيها قيل لها الحقيقة الكلية أيضاً *

(المسئلة الخامسة) في بيان ان الوحدة الحقيقية هى الهيولى الخامسة وهيولى الهيولات ووجه ذلك ان لفظة الهيولى وان كانت عند أرباب العلوم النظرية غالبة على محل الصورة الجسمانية لكونها أظهر الصور لكنها أعنى الهيولي عند طائفة الصوفيـة اسم للشيء باعتبار نسبته الى ما هو ظاهر فيه بحيث يكون كل باطن هيولى الظاهر الذى هو صورة فيه ولا يعنون بالصورة الصورة الجسمانية فقط بل يعنون بها ما يشمل كل صورة معنوية كانت أو جسمانية كما يعلم ذلك من سياق عباراتهم بل من صراحتها فهم تارة يعبرون بهيولى الهيولات وأخرى بهيولى الكل وطوراً بالهيولى الخامسة ويعنون بذلك كله حقيقـة الحقائق التي عرفتها فمن حيث انها باطن كل حقيقة الهية وكونية

كانت هيولى الهيولات ومن جهة بطونها في كل باطن وبطون كانت هيولى الكل والهيولية الكبرى الجامعة لكل شيء ومن أجل ان الجسم الذى هو أقصى مراتب الظهور صورة في النفس والنفس صورة فى العقل والعقل صورة في العلم والعلم صورة ظهرت من باطن الوحدة كانت الهيولى الخامسة وقد علمت ان حقيقة الحقائق هى الوحدة الحقيقية فما كان اسماً للاولى فهو اسم للثانية والمراد بالصورة في ذلك الصفة فلا ينافي ما قدمناه من ان علم الحق تعالى ادراك محض مجرد عن الصورة*

(المسئلة السادسة) في بيان ان الحقيقة المحمدية والحق المخلوق به هي عين حقيقة الحقائق وعين التعين الاول والوحدة الحقيقية التي هي الشيء الثالث • وقبل الشروع في بيان وجه المناسبة فى ذلك نقول قال الشيخ محي الدين رضى الله عنه في مواقع النجوم: والصلاة على الدرة البيضاء والزبرجدة الخضراء النور الالهى الابهر والضياء الازهر الامام الاظهر صاحب الثوب الاطهر الا كسير الاكبر والكبريت الاحمر محمد بن عبد الله النبي المصطفى المعصوم المعطى لواء الخلافة والتقديم قبل ايجاد الكون والتقسيم بالمقام المعظم في حضرة القديم حتى برز في عالم التخطيط والتجسيم ـ قال العلامة الشيخ عبد الله الصلاحى فى شرح ذلك بمعنى الخلافة والتقديم له صلى الله عليه وسلم كان قبل اعطاء الوجود للكون وقبل تقسيمه اليه أى تكثير الكون والمراد بالمقام المعظم في حضرة القديم بيان لمرتبة تقدمه الذاتى

للمستوعبة لجميع المقامات العاليـة وهي الوسـيلة والمقام المحمود الذي يندرج فيه الأعيان الثابتة المعبر عنه بالواحدية كما قال صـدر الدين قدس سره (اعلم) ان الحق تعالى لما تجلى لذاته بذاته وشاهد جميع صفاته وكمالاته في ذاته وأراد ان يشاهدها في حقيقة تكون له كالمرآة أوجد الحقيقة المحمدية التى هي جميع أهل النوع الانساني فى الحضرة العلمية فوجدت حقائق العالم كلها بوجودها وجوداً اجمالياً ثم أوجدهم فيها وجوداً تفصيلياً فصارت أعياناً ثابتة فأعيان العالم فى العـلم والعـين وكمالاتها انما حصلت بواسطة الحقيقة المحمدية صـلى الله عليه وسـلم ولذلك قال في حضرة القديم لأنها عبارة عن المرتبـة الثانية للموجد القديمـ وقال بعد كلام والمراد من عالم التخطيط عالم الارواح والنفوس المجردة ومن التجسيم عالم الاجسام يعنى هو صلى الله عليه وسلم نقطة دائرة الوجود فظهر من مركزها بنقطة أحدية الذات الفردانية الى المحيط لاجراء أمر الخلافة بالتربية والسياسة انتهى * فاذا تأملت أيها الفهيم في قول الشيخ الا كبر قدس سره الانور المعطي لواء الخـلافة والتقديم قبل ايجاد الكون والتقسيم الى آخره وقول تلميذه الاستاذ صدر الدين رضي الله عنه أوجد الحقيقة المحمدية التى هي جميع أهل النوع الانساني في الحضرة العلمية فوجـدت حقائق العالم بوجودها وجوداً اجمالياً ثم أوجدهم فيها وجوداً تفصيلياً أيقنت ان المراد من الحقيقـة المحمدية عندهم حقيقة جامعة لجميع الحقائق الالهيـة لقوله وأراد ان يشاهـدها بالضمير الراجع الي جميع صـفاته وكمالاته في

ذاته وبجميع الحقائق الكونية الثابتة في العلم القديم لقوله فوجدت حقائق العالم كلها بوجودها بالضمير الراجع الى الحقيقة المحمدية وان تلك الحقيقة المقدسة من حيث احاطتها وجامعيتها لها اعتباران لقوله وجوداً اجمالياً ثم أوجدهم فيها وجوداً تفصيلياً • الاعتبار الاول عبارة عن وحدانية تلك الحقيقة الجامعة مع اشتمالها على جميع الحقائق حالة كونها بجملة • والاعتبار الثاني ترجمة عن كون ذلك المجمل المحيط عاد أعيانا ثابتة وحقائق متمايزة مفصلة وان ذلك كله باعتبار مرتبتي اجمال العلم وتفصيله لقوله فى الحضرة العلمية وقوله ثم أوجدهم فيها بالضمير العائد الى الحضرة العلمية ولاينافي ذلك ذكر أوجد ونحوه في العبارة المذكورة لان المراد بالوجود في ذلك كله الوجود الادراكي العلمي الازلى الذى تقدم بيانه لاالوجود الخارجي لئلا يقع التناقض فى كلامه • وظاهر ظهوراً بيناً ان الحقيقة المشار اليها التى شأنها ذلك هي الوحدة الحقيقية والتعين الاول بالنظر الى الاعتبار الاول واحذر أن يخطر ببالك ان الفاء في قول صدر الدين رضي الله عنه فوجدت وثم في قوله ثم أوجدهم للترتيب الزماني التعقيبي في الاول ومع التراخى في الثانى بل انما هو اشارة الى الترتيب الرتبى لان الكلام في المراتب الواقعة فى الازل ولا زمان هناك حتى يقع ترتيب بحسبه كما هو معلوم • وسيأتى توضيحه ان شاء الله تعالى في تطبيق الاوصاف المذكورة في عبارة الشيخ الاكبر للشئ الثالث عليه • وأما توضيح وجه كون هذه الحقيقة المحمدية جامعة لجميع الحقائق فبأنه سيأتى ان شاء الله

تعالى فى الباب الثالث ذكر أحاديث نبوية ان الله جلت عظمته أوجد عند بدء الخلق الجسماني شيأ يدعي عماء وماء ونوراً وهو النور المحمدي ثم قسمه الى أجزاء خلق منها جميع العوالم من العرش المجيد الى الفرش المهيد فكان لذلك النور حالتان (الاولى) هي كونه شيأ موجوداً في الخارج واحداً جامعاً لجميع الكائنات حالة كونها مجتمعة متصلة موصوفة بالوحدة الجسمانية (والثانية) هي انقسام ذلك النور الى أشياء موجودة فى الخارج أيضاً وأفراد متعددة متمايزة منفصلة مفصلة موصوفة بالكثرة الجسمانية ولا شك ان الحالتين المذكورتين الثابتتين لذلك النور فى عالم الاجسام كانتا ثابتتين له في حضرة العلم الازلي اذ لاشك أن جميع ما كان ويكون انما هو على وفق ماسبق فى العلم القديم فكما أن حالته الاولي فى الوجود الخارجي هي الوحدة الجسمانية وحالته الثانية هي الكثرة الجسمانية حالته الاولي في حضرة العلم هي الوحدة الحقيقية وحالته الثانية فيها هي الكثرة الحقيقية * واذا استحضرت ماتقرر انه في الرتبة الاولى العلمية تكون شؤون الذات الاقدس التي هي عبارة عن الاسماء والصفات ومتعلقاتها مندرجة فيها وراجعة الى شيء واحد وهو الذات الاقدس كما تقدم بيانه مراراً سهل عليك فهم ان الحقيقة المحمدية عين التعين الاول الذى هو حقيقة الحقائق ٭ وقد أشار الى هذا المعني الذى اليه أشرنا والسر الذى اليه أومأنا في لطائف الاعلام حيث قال بعد ان فسر حقيقة الحقائق على الوجه الذى لخصناه منه سابقاً: الحقيقة المحمدية يشيرون بها الى صورة هذه الحقيقة المسماة بحقيقة الحقائق الشاملة لها أى للحقائق والسارية

بكليتها في كلها سريان الكلى فى جزئياته وانما كانت الحقيقة المحمدية هي
صورة لحقيقة الحقائق لاجل ثبوت الحقيقة المحمدية فى حاق الوسطية
والبرزخية والعدالة بحيث لم يغلب عليه عليه السلام حكم اسم أو صفة
أصلا كما عرفت ذلك عند الكلام على توبة الانتهاء فكانت هذه
البرزخية الوسطية هي عين النور الاحدى المشار اليه بقوله عليه
السلام أول ماخلق الله نورى أي قدر على أصل الوضع اللغوي
الي أن قال وهذه الحقيقة الكلية هي أصل جميع الاسماء الالهية المضاف
اليها الربوبية • ومعنى كون هذه الحقيقة هي الحقيقة المحمدية أى ان
الصور العنصرية المحمدية صورة لمعنى ولحقيقة ذلك المعنى وتلك الحقيقة
هي حقيقة الحقائق فافهم انتهى ❊ فقوله فى أول العبارة يشيرون بها الى
صورة هذه الحقيقة المراد بالصورة هنا مرتبة الحقيقة المذكورة فى
التعيين الاول فانها حالة ظهور بالنسبة لباطن الوحدة لما علمت فى الهيولى
الخامسة من ان العلم صورة ظهرت من باطن الوحدة فمن ثم قال بعد
ذلك فكانت هذه البرزخية الوسطية هي عين النور الاحدى وكذلك
قوله ان الصورة العنصرية المحمدية صورة لمعنى ولحقيقة ذلك المعنى
وايضاح ذلك ان الحقائق كلها باعتبار التعين الاول حقيقة واحدة
وهى مع ذلك لها وجود أي ظهور علمى بالنسبة الى مرتبة كونها اعداماً
محضة فمرتبة الوجود العلمى صورة أى ظهور لها بالنسبة الى مرتبة
كونها محكوماً عليها بأنها اعدام محضة بالنظر الى باطن التعين الاول
وهومقام الاحدية الذى ليس فيه للذات الاقدس تعالى نسبة الى

شيء أصلا ولا لشيء الى الذات الأقدس تعالى نسبة أصلا * ويؤيد خلاصة ما تقدم ما في لطائف الاعلام أيضاً في تعريف النور الاحدى من انه التجلي الاول الذي عرفته بانه عبارة عن ظهور الذات لذاتها في عين واحديتها فلكونه أول التعينات قال عليه الصلاة والسلام أول ما خلق الله نوري أي أول ما قدر على أصل الوضع اللغوي وهو أعني التجلي الاول لما كان هو أصل جميع الاسماء الالهية كما عرفت ذلك في باب الالف وكان عليه الصلاة والسلام هو أب الارواح ونور الانوار هو محمد صلى الله عليه وسلم لما عرفت من كون نوره الذي هو التجلي الاول هو أصل جميع الانوار والله أعلم انتهى * وقوله وهو أعني التجلي الاول مبتدأ وقوله هو محمد صلى الله عليه وسلم خبره فافهم وما قاله جدنا العلامة السيد محمد البرزنجي في رسالته المسماة بالجعبة لسهام أدلة القبلة والكعبة بعد أن نقل كلاماً عن بعضهم حاصله ان حقيقة الكعبة روح محمد والحقيقة المحمدية جسده وهذا الكلام فيه فساد من وجوه (أحدها) ان الحقيقة المحمدية عند القوم عبارة عن التعين الاول الذي يلي غيب اللاتعين وهو من مراتب الوجوب اجماعاً فجعله من مراتب الامكان جهل وكذب ثم قال (سادسها) ان حقيقة محمد صلى الله عليه وسلم بمعنى التعين الاول يسمى عندهم حقيقة الحقائق أما كونه حقيقة الكعبة بالخصوص فما وجهه ومن أين هذا المأخذ انتهى * ولله در السيد السند الجرجاني حيث جمع هذا المعنى كله في كلمتين خفيفتين على اللسان ثقيلتين في الميزان حيث قال الحقيقة المحمدية التعين

الاول مع الذات وهو الاسم الاعظم انتهى * فسبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وبه الارشاد والعون * وأما بيان ان الحق المخلوق به هي حقيقة الحقائق التي هي عين الحقيقة المحمدية المشار اليها فنقول في ذلك قال في لطائف الاعلام الحق المخلوق به يعنون به الانسان الكامل بمعنى انه المخلوق بسببه المشار الى ذلك بقوله لما خلقت الافلاك قال تعالى (وسخر لكم ما في السموات وما في الارض) فما يسخر الشيء الا لاجله هو الغاية من وجوده ولهذا جاء في الزبور أو غيره من الكتب الالهية يا ابن آدم خلقت الاشياء كلها من أجلك وخلقتك من أجلي فقالوا كل ما سوى الانسان خلق للانسان • ولهذا المعنى اعتباران (أحدهما) انه هو العلة الغائية في خلق العالم فكان كل ما سوى الانسان خلق للانسان بهذا المعنى وهذا بلسان العموم في اصطلاح أهل الرسوم (والمعنى الثاني) بلسان أهل الخصوص وهو المراد بالحقيقة الانسانية المحمدية التي عرفت انها حقيقة الحقائق وهي قابلة لتجلي الواحد الاحد على نفسه فلما كان هذا التجلي المذكور هو أصل جميع الاسماء الالهية المضاف اليها الربوبية والاصلاح والملك والسيادة بالنسبة الى جميع الحقائق الكونية وهو منشؤها ومرجعها ومنتهاها المشار الى ذلك بقوله الى ربك الرجعى • وان الى ربك المنتهى • فاذا قيل ان كل ما سوى الانسان خلق للانسان فانما يعنى بالانسان هنا الانسان الحقيقي الذى هو حقيقة الحقائق لا الصورى الذي هو الجسم العنصرى فان حقيقته هو التجلى الاول الذى هو رب الارباب كما سيأتى انتهى • وفي هذه العبارة من الفوائد ان الانسان الكامل

يطلق على معنيين (الاول) هو الجسم العنصري وهو بلسان العموم (الثاني) الانسان الحقيقي الذي هو حقيقة الحقائق وان المراد بلسان العموم مصطلح أرباب العلوم النظرية لا مصطلح عموم الصوفية ما عدا الشيخ الاكبر كما توهم لقوله في اصطلاح أهل الرسوم لان الرسوم عندهم هو العلم الظاهر المستخرج بطريق الفكر والنظر ويقابل ذلك لسان الخصوص الذى هو مصطلح أهل التحقيق الذي هو العلم اللدني الذى يعطيه الكشف الصحيح عن حقائق الامور بطريق الالهام الالهي وهو شامل لمصطلح الشيخ الاكبر وسائر الصوفيـة المحققين كما لا يخفى *

(فان قلت) ربما عارض هذا ماقاله الامام الجيلي في الباب الحادى والخمسين من كتابه المسمى الانسان الكامل فى الملك المسمى بالروح ونص عبارته (اعلم) ان هذا الملك هو المسمي فى اصطلاح الصوفية بالحق المخلوق به والحقيقة المحمدية نظر الله تعالى الى هذا الملك بما نظر به لنفسه فخلقه من نوره وخلق العالم منه وجعله محل نظره من العالم ومن أسمائه أمر الله وهو أشرف الموجودات وأعلاها مكانة وأسماها منزلة ليس فوقه ملك وهو سيد المقربين وأفضل المكرمين أدار الله تعالى عليه رحى الموجودات وجعله قطب فلك المخلوقات له مع كل شيء خلقه الله تعالى وجه خاص يلحظه وفي المرتبة التى أوجده تعالى فيها يحفظه • فأنت تراه قد صرح بان معنى الحق المخلوق به والحقيقة المحمدية فى اصطلاح الصوفية هو ذلك الملك الذي يسمى بالروح الذى وصفه بعد بان الله خلقه من نوره وخلق العالم منه وهو صريح في كونه من الموجودات

في الاعيان • وقد قررت أنت ان الحقيقة المحمدية والحق المخلوق به من قدم الموجود فى العلم الازلي عند الصوفية • ولا يخفى ما بين العبارتين من التناقض الصريح فما وجه الجمع بينهما (قلت) اذا تأملت أيها اللوذعي الفهيم في عبارة الامام الجيلى ورميت القشر وأخذت اللباب • اهتديت الى الصواب • وعلمت أن لا معارضة ولا اضطراب • وان معناها • وكنه مغزاها • عين التحقيقات التي جليناها • وذلك بأن ننظر الى صدر العبارة وهو قوله نظر الله تعالى الى هذا الملك بما نظر به لنفسه فخلقه من نوره وتستحضر في ذهنك أن قوله تعالى [إنما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون] عام لكل شيء حتى للشيء الذى هو أول مخلوق وننتقل بفكرك الى ما تقرر بالاجماع انه يستحيل تعلق القدرة بما لم تتعلق به الارادة كما يستحيل تعلق الارادة بما لم يتعلق به العلم فيتبين لك ان هذا الملك المسمى بالحق المخلوق به والحقيقة المحمدية لم يبرز الى الوجود العيني الا بعد خطابه تعالى له بكن المتوقف على الارادة المتوقفة على العلم • ويكون المعنى حينئذ على ما ذكره أهل التحقيق في هذا المقام نظر الله تعالى لهذا الملك بما نظر به لنفسه أي بنظره لنفسه فكان نظره له عين نظره لنفسه فخلقه من نوره أى تجلى له بما تجلى به لنفسه أي كان تجليه تعالى له عين تجليه لنفسه • ومعنى ذلك انه كان معلوماً له تعالى وثابتاً وكان حالة معلوميته وثبوته هو والعلم مندرجين في وحدة الذات المقدسة لاغيران فى التجلى والظهور والتعين الاول على الوجه الذي تقدم توضيحه • فلما أراد الحق ابرازه

الى الوجود العينى أفاض السمع على وجوده المبطون في هذه الوحدة المستهد لان يفاض من الباطن الى الظاهر بقدرة الله تعالي فقام السمع بوجوده المفاض البسيط غير المتعين قبل قول كن ثم قال له كن فسمع القول فامتثل الامر فتعين بتعين مخصوص على ماقضت به الارادة الالهيـة والحكمة ٠ولا تتوهم ان القبلية والبعدية في ذلك زمانية بل هو أمر معنوى رتبي اذ لا زمان حينئـذ فيكون تقدم قول كن على بروزه كتقدم طلوع الشمس على وجود النهار واذا كان نظر الله تعالى لهذا الملك بنظره لنفسه أى تجليه له بتجليه لنفسه انما كان في مقام وحدة الذات تعين ان تكون حقيقته هي الحقيقة المحمدية والحق المخلوق به بالمعني الذى تقدم عن لطائف الاعلام وغـيره وهي عين حقيقة الحقائق ٠ ثم بعد تعينه المخصوص قسمه التقسيم الذى يأتى عند ذكر حديث جابر تفصيله المشار اليه بقول الجيـلى بعـد وخلق العالم منه وهذا كله على حمـل خلق فى قوله نخلقه من نوره وخلق العالم منه على معنى أبرز الى الوجود العيني ٠ ويحتمل ان يحمل قوله نخلقه من نوره على معنى أبرزه من العـدم المحض الي الوجود العلمى الاجمالى الذي تتحد فيه الحقائق الالهيـة والكونية أى أبرزه ابرازاً حكمياً فى علمه لان تقدم العدمية المحضة على الوجود العلمى تقدم رتبي حكمي لازمانى لوجوب احاطة علمه تعالى بجميع المعلومات أزلا وأبداً٠وقوله وخلق العالم منه على معنى فصّل كل شئ منه في غامه تفصيلا باعتبار التعين الثاني والعلم التفصيلى الذى تمايز فيه حقائق الاشياء مع اقتران

الاجمال والتفصيل كما علمت • وهذا هو الاوفق بما قدمناه عن لطائف الاعلام من حمل خلق على قدر في قوله صلى الله عليه وسلم أول ماخلق الله نوري وأياما كان فلا ينافي المعنى الذى شرحنا به صدر عبارة الجيلى المذكورة لانه قد أشار الي تأخر خلقه والخلق منه عن رتبة كونه منظوراً اليه بنظار الذات الاقدس لنفسه بالفاء التى للتعقيب تأخراً حكمياً رتبياً منضما الي الاشارة الى حدوثه في الاعيان بعد ان لم يكن كذلك على الاحتمال الاول وتأخراً حكمياً رتبياً فقط على الاحتمال الثانى • وهذا السر الذي أفشيناه عن صدر عبارته يؤيده بل يعينه ويقضى وجوباً بان لا سبيل الى غيره ما ذكره الهمام الجيلى المذكور في الكتاب المسطور فى مبحث العماء ومبحث السموات السبع ونص عبارته فى الاول (اعلم) ان العماء عبارة عن حقيقة الحقائق التى لاتتصف بالحقيقة ولا بالخليقة فهى ذات محض لانها لاتضاف الى مرتبة لاحقية ولا خلقية فلا تقتضى لعدم الاضافة وصفاً ولا اسماً وهذا معنى قوله عليه الصلاة والسلام ان العماء ما فوقه هواء ولا تحته هواء يعنى لا حق ولا خلق فصار العماء مقابلا للاحدية فكما أن الاحدية تضمحل فيها الاسماء والاوصاف ولا يكون لشيء فيها ظهور فكذلك العماء ليس لشيء من ذلك فيه مجال ولا ظهور وأطال الى أن قال وهو أي الحق سبحانه وتعالى في نفسه على ماهو عليه من الامر الذى كان له قبل تجليه عليه وظهوره لنا وبعد ذلك الحكم لاتقبل ذاته الا التجلى الذى هو عليه فليس له الا تجل واحد وليس

للتجلى الواحد الا اسم واحد وليس للاسم الواحد الا وصف واحد وليس للجميع الا واحد غير متعدد فهو متجل لنفسه فى الازل بما هو متجل له فى الابد انتهى *وهي تفيد صريحاً ان العماء هو التجلى الاول الذى هو التعين الاول الذى هو حقيقة الحقائق *ونص عبارته فى الثانى (اعلم) أيدك الله بروح منه ان الله تعالى كان قبل أن يخلق الخلق فى نفسه وكانت الموجودات مستهلكة فيه ولم يكن له ظهور في شيء من الوجود وتلك هي الكنزية المخفية وعبر عنها النبي صلى الله عليه وسلم بالعماء الذي مافوقه هواء وماتحته هواء لان حقيقة الحقائق فى وجودها ليس لها اختصاص بنسبة من النسب لاالى ماهو أعلى ولا الى ماهو أدنى وهي الياقوتة البيضاء التى ورد الحديث عنها ان الحق سبحانه وتعالى كان قبل ان يخلق الخلق فى ياقوتة بيضاء الحديث ٠ فلما أراد الحق سبحانه وتعالى ايجاد هذا العالم نظر الى حقيقة الحقائق وان شئت قلت الى الياقوتة البيضاء التى هي أصل الوجود بنظر الكمال فذابت فصارت ماء فلهذا مافى الوجود شيء يحمل كمال ظهور الحق تعالى الا هو وحده لان حقيقة الحقائق التى هى أصل الوجود لم تحتمل ذلك الا فى البطون فلما ظهر عليها ذابت لذلك ثم نظر اليها بنظر العظمة فتموجت لذلك كما تموج الارياح بالبحر فانفهقت كثائفها بعضها فى بعض كما ينفهق الزبد من البحر فخلق الله من ذلك المنفهق سبع طباق الارض ثم خلق سكان كل طبقة من جنس أرضها ثم صعدت لطائف ذلك الماء كما يصعد البخار من البحار ففتقها الله سبع سموات وخلق ملائكة كل سماء من جنسها ثم صير الله ذلك

سبعة أبحر محيطة بالعالم فهذا أصل الوجود جميعه انتهي المقصود منه
* وجه قضاء هذا الكلام بأن لا سبيل الى غير المعنى الذى فهمناه من
صدر العبارة الاولى انه قد تحصل لنا من كلامه(أولا) ان بدء الخلق كان
عقب نظر الحق تعالى الى الروح المسمي بالحق المخلوق به والحقيقة
المحمدية بما نظر به لنفسه وان الروح المشار اليه هو المخلوق الاول
الحقيقى الذى خلق وخلق منه العالم بأسره (وثانياً) ان بدء الخلق كان
عقب نظره جل وعلا حقيقة الحقائق المسماة بالياقوتة البيضاء والهباء
وان حقيقة الحقائق المذكورة هي المخلوق الاول الحقيقى الذي خلق
وخلق منه العالم بأسره *ومعلوم نقلا وعقلا ان بدء الخلق انما كان مرة
واحدة لا مرتين وان المخلوق الاول الحقيقى الذى خلق منه العالم باسره
يجب ان يكون واحدا لا متعددا والا لكان أحد المتعدد حقيقياً والآخر
اضافياً وقد فرض انه حقيقى هذا خلف فبطل كونه متعددا فثبت انه
واحد فلزم ان المسمي بالروح والحقيقة المحمدية والحق المخلوق به
وحقيقة الحقائق والياقوتة البيضاء والهباء واحد لانه قد حكم بان المسمي
بتلك الاسماء كلها هو المخلوق الاول الحقيقي الذي ثبت انه واحد
لا غير *ثم انه قد ثبت من مجموع كلامه ان المخلوق الاول المذكور لم يكن
موجودا فى الخارج عند نظر الحق تعالى اليه بل موجوداً علمياً
لقوله في الاول فخلقه من نوره وفي الثانى فذابت فصارت ماء فان ذلك
صريح في أن الخلق أو الذوبان الذى هو بمعناه انما كان عقب النظر
الالهى ولانه قد جعل من جملة اسمائه حقيقة الحقائق وقد علم ان

مدلولها أول رتب الذات وأول تعيناتها وهو عبارة عن الحقيقة الكلية العلمية • واذا اتضح هذا لديك لم يبق عندك ريب فى ان عبارة الجيلى المذكورة غير معارضة لما قررناه أخذاً وتلخيصا من كلام المشايخ الاعلام وانهم والجيلي انما غرفوا من بحر واحد وسلكوا منهجا واحداً وثبت ان الحق المخلوق به والحقيقة المحمدية فى كلامه وكلام الشيخ محيي الدين وغيره شئ واحد وهو عين مافسرناهما به بلا مرية * واذا عطفت النظر الى ان تلك الحقيقة ذات الاسماء المتعددة ذابت وصارت ماء عند تجلى الحق لها والى مايأتى فى الباب الثالث من ان الماء المخلوق الاول الذي خلق منه كل شئ هو النور المحمدى علمت ان حقيقة ذلك الماء في الحضرة العلمية هى الحقيقة القابلة لذلك النظر والتجلى وانها هى الحقيقة المحمدية والحق المخلوق به • وانما اطلنا الكلام في هذا المرام لانه كان موضوع التنازع بين عوامل أفكارى وأفكار صاحبنا الفاضل المشار اليه في أول رسالتنا هذه وبالله التوفيق *

(المسئلة السابعة) وهى خاتمة مسائل الباب في شرح المعنى الذى صار فيه التنازع بينى وبين من سبق ذكره فنقول ان العلامة المحقق منلا ابراهيم الكورانى قد ألف رسالة لطيفة سماها المسلك الانور الي معرفة البرزخ الاكبر وكان الداعي له الى ذلك أن سائلا سأله عن عبارة الشيخ محي الدين رضي الله عنه فى انشاء الدوائر وهي : وأما الشئ الثالث فما لا يتصف بالوجود ولا بالعدم ولا بالحدوث ولا بالقدم الي أن قال وهذا أصل العالم وأصل الجوهر الفرد وفلك الحياة والحق المخلوق به قائلا

انه أخذته الحيرة فى فهمها من جهتين (الجهة الاولى) ان الشيخ وصف الشيء الثالث بانه لايتصف بالوجود ولا بالعدم ولابالحدوث ولا بالقدم ثم قال فسمه ان شئت حقيقة الحقائق • وقال صاحب لطائف الاعلام يعنون بحقيقة الحقائق باطن الوحدة وهو التعين الاول الذى هو أول رتب الذات الاقدس فكيف لا يكون قديماً (والجهة الثانية) ان الشيخ قال ان الشيء الثالث هو الحق المخلوق به وقال صاحب لطائف الاعلام يعنون بالحق المخلوق به الانسان الكامل وهو موجود حادث فكيف ينفى عنه الحدوث والوجود والتمس من العلامة المشار اليه أن يكتب له في الجواب ما يزيل عنه هذا التحير ـ فأجابه رحمه الله تعالى عن الجهة الاولى بما زبدته ان كون الشيء الثالث هو حقيقة الحقائق التى هى باطن الوحدة والتعين الاول الذي هو أول رتب الذات الاقدس لا يلزم منه أن يكون قديماً لان المراد من الشيء الثالث مفهوم كلى اعتبارى جامع لجميع الاعتبارات وما كان كذلك لا يكون موجوداً فى الخارج في حد نفسه لانه حينئذ حقيقة الحقائق الشاملة لحقيقة الواجب الوجود ولحقائق الممكنات الحادثة بأسرها وما كان كذلك فلا يصح أن يتصف بالوجود ولا بالعدم ولا بالحدوث ولا بالقدم من حيث هو لانه لو كان موجوداً فلا يخلو اما أن يكون وجوده بالذات أو بالغير فان كان الاول انحصر فى حقيقة الحق تعالى وهو الموجود القديم فلا يكون شاملا لحقائق الممكنات الحادثة وان كان الثاني انحصر في حقائق الممكنات الحادثة وهي موجودة حادثة فلا يكون شاملا لحقيقة الحق

تعالى وقد تقرر انه كلي شامل للقديم والحادث فلا يكون كلياً كذلك الا اذا كان من حيث هو لاموجوداً ولا معدوماً ولا حادثاً ولا قديماً بل هو في الموجود موجود وفى المعدوم معدوم وفى الحادث حادث وفي القديم قديم واذا بطل كونه موجوداً في الخارج لبطلان لازمه تعين انه ليس بقديم لان مراد الشيخ من القديم فى هذا المقام الموجود فى الخارج الذي لم يسبق وجوده عدم وهذا الشيء الثالث انما هو أمر اعتباري معقول لاغير نعم ان أريد بقدمه انه هو التعين الاول وحقيقة الحقائق ان التميز الحاصل لها لم يحدث بعد ان لم يكن فليس هذا الاطلاق بممنوع بعد فهم المراد غير ان الشيخ لم يرد بالقدم هذا المعنى بل المعنى الاول كما يؤخذ من صريح كلامه في انشاء الدوائر هذا آخر زبدة الجواب عن الجهة الاولى * وحاصل ذلك ان معنى العبارة لايوصف بالوجود الخارجي ويوصف بالوجود الادراكي ولا يوصف بالقدم المحض لانه معنى معقول ولا بالحدوث لان التميز الحاصل له لم يحدث بعد ان لم يكن ولا بالقدم لانه ليس موجوداً فى الخارج لم يسبق وجوده عدم فلم يلزم فيه ارتفاع النقيضين ــ وأجابه عن الجهة الثانية بأنه لامنافاة بين كلام الشيخ حيث جعل هذا الشيء الثالث المنفى عنه الاوصاف المذكورة الحق المخلوق به * وقول صاحب لطائف الاعلام يعنون بالحق المخلوق به الانسان الكامل لان صاحب لطائف الاعلام أطلق الانسان الكامل على وجهين (الاول) بلسان العموم ويراد به صورته الجسمانية وحينئذ يتصف بالوجود والحدوث وليس بمراد هنا (والثانى) بلسان

الخصوص ويراد به حقيقة الحقائق وهو المراد هنا وحقيقة الحقائق معقول لا وجود له في الخارج ولا تتصف في حد ذاتها بشيء من المتقابلات والا لما كانت حقيقة الحقائق ٠ وهذه خلاصة ما في الرسالة المذكورة ولا ريب انه كلام في غاية التحقيق وموافق لما نقلناه ووضحناه في المسائل السابقة على مذهب الشيخ محي الدين والجيلي وغيرهما من أئمة الصوفية على وجه علم منه يقيناً ان مذهبهم واصطلاحهم في جميع ذلك واحد ولكن صاحبنا الفاضل المشار اليه لما استعجل ولم يعط عباراتهم المختلفة الاساليب والالفاظ حقها الواجب من التأمل والاستقراء تبادر الى فهمه ان لعموم السادة الصوفية مذهباً واصطلاحاً في معنى حقيقة الحقائق غير مذهب الشيخ محي الدين واصطلاحه وان مراد العموم بها شيء موجود في الخارج هو النور الذى برز للوجود الخارجي عند بدء الحق تعالى للخلق وانه الانسان الكامل الذي فسر به صاحب لطائف الاعلام الحق المخلوق به وانه المراد عندهم بالحقيقة المحمدية وان صاحب لطائف الاعلام انما ألف كتابه في بيان مصطلحات العموم لا مصطلحات الشيخ محي الدين الذى أراد بحقيقة الحقائق التعين الاول والحقيقة الكلية التي ليست موجودة في الخارج مع دعوى ان الحق المخلوق به والحقيقة المحمدية والانسان الكامل شيء موجود في الخارج وهو النور المذكور في حديث جابر عند العموم وعند الشيخ محي الدين وانه يجب قراءة فلك الحياة والحق المخلوق به بالجر في عبارة الشيخ محي الدين التي ذكرها في تعريف الشيء الثالث عطفاً على

العالم المجرور باضافة أصل اليه وان العلامة الكورانى وسائله لم يتنبها لهذه الدقيقة وغلطا في قراءتهما بالرفع عطفاً على لفظ أصل الواقع خبراً عن هذا المشار به الى الشئ الثالث وان غلطهما ذلك أوقع السائل والمسؤل فى ظنهما ان الحق المخلوق به مسلوب عنه الوجود وما بعده من الاوصاف وليس كذلك الى آخر ما أطال به مما هو ليس بطائل وأقوى ما استند اليه فى ذلك عبارة الجيلى فى الملك المسمى بالروح الموهمة بحسب ظاهرها لغير المتأمل لذلك وقد سمعت توفيقها بعبارة الشيخ محي الدين على الفهم الصحيح وعبارة غيره مع إرداف ذلك من كلام الجيلى بما هو نص قاطع على بطلان الفهم الذي بني عليه تشتيت اصطلاحهم وصاحب لطائف الاعلام من تلامذة تلميذ الشيخ محي الدين وهو الصدر القونوى • وما عنايته فى كتابه المذكور الا بشرح مصطلحات شيخ شيخه • وهذا القدر من البيان فى دفع الاعتراض عن العلامة الكورانى كاف عن نقل لفظ الاعتراض ودفعه والله الهادي الى الصواب

[الباب الثالث] في بيان ما هو نتيجة لما تضمنه الباب الثانى فنقول

اعلم أيها المؤمن الكامل ان الله جل ذكره قد اقتضى سر قدره ان خص سيدنا ومولانا محمداً الذى بعثه رحمة للعالمين بمزيتين ومنقبتين بين سائر الرسل هما أجل وأعظم المزايا فساد بهما الاولين والآخرين وفاق الملائكة المقربين (فاما المزية الاولى) فهى مجموع ثلاثة أمور (الاول) كونه صلى الله عليه وسلم أصل العالم كله في الحضرة العلمية الازلية والوجود الادراكي ومقامه هذا هو المعبر عنه بالحقيقة المحمدية

والتعين الاول وحقيقة الحقائق والنور الاحمدى والحق المخلوق به والانسان الكامل عند علماء الباطن وأرباب الكشف والحقيقة (الثاني) كونه أصل العالم كله في حضرة الاعيان والوجود الخارجى عند انفاذ القدرة الالهية ما اقتضاه العلم والارادة الآلهيان ببدء الخلق والايجاد الذى هو عالم الارواح والاجسام ولوازمهما (الثالث) أنه صلى الله عليه وسلم كان نبيا بالفعل عند بدء الخلق المذكور مفاضا عليه كمالات النبوة من المعارف والعلوم الآلهية ومقربا الى ربه قربا خاصا غير مشارك في حضرة قدسه فاما كونه أصل العالم كله في الحضرة العلمية فقد تقدم تحقيقه وتوضيحه فى الباب الثاني على أكمل الوجوه بتوفيق الله * واما كونه أصل العالم كله في حضرة الاعيان والوجود الخارجى وأنه كان نبياً على الوجه المذكور عند بدء الخلق فيأتي تحقيقه بطريق النقل عن السنة في هذا الباب ان شاء الله تعالى (واما المزية الثانية) فهى كونه صلي الله عليه وسلم رسولا ومبعوثا الى من قبله من الانبياء وأممهم كما هو رسول ومبعوث الي من في عصره ومن بعده من الثقلين والملائكة الى يوم القيامة ويأتي تحقيقه أيضاً ان شاء الله تعالى فى هذا الباب • فمن هنا انقسم هذا الباب الى مسئلتين (المسئلة الاولى) فى بيان كونه صلى الله عليه وسلم أصل العالم كله وكونه نبياً بالفعل عند بدء الخلق وبيان وجه ذلك * فاقول قد اطلعت على عبارة جامعة فائقة للعلامة الكوراني فى قصد السبيل متكفلة بتحقيق هذه المسئلة فنوردها بلفظها وان كان فيها بعض طول لما فيها من الفوائد البديعة * قال رحمه

الله بعد ان ذكر الاحاديث المتعلقة باولية نبوته قبل الانبياء أولية خاصة هذاه وذهب شيخنا أطال الله بقاءه في عافية وأعاد علينا من بركاته في حاشيته على المواهب اللدنية أنه صلى الله عليه وسلم كان نبياً قبل خلق العرش والماء ومستنده في ذلك ما تحقق عنده من غير طريق النقل كما سمعت ذلك منه في بعض مجالسه الشريفة وان أردت ان تستأنس بما يدل على ذلك من طريق النقل فألق السمع وأنت شهيد والله ولي الهداية والتأييد فنقول يؤخذ ذلك من حديث الشعبي السابق ومن حديث جابر الذي أورده في المواهب اللدنية أيضاً حيث قال وروى عبد الرزاق بسنده عن جابر بن عبد الله الانصاري قال قلت يارسول الله بابي أنت وأمي أخبرني عن أول شيء خلقه الله تعالى قبل الاشياء قال يا جابر ان الله خلق قبل الاشيا نور نبيك من نوره فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله تعالى ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا ملك ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا جني ولا انسي فلما أراد الله تعالى ان يخلق الخلق قسم ذلك النور أربعة أجزاء فخلق من الجزء الاول القلم ومن الثاني اللوح ومن الثالث العرش ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء فخلق من الاول حملة العرش ومن الثاني الكرسي ومن الثالث باقي الملائكة ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء فخلق من الاول السموات ومن الثاني الارضين ومن الثالث الجنة والنار ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء فخلق من الاول نور أبصار المؤمنين ومن الثاني نور قلوبهم وهي المعرفة بالله ومن الثالث نور

انسهم وهو نور التوحيد لااله الا الله محمد رسول الله الحديث وفى هذا
الحديث على ما أورده فى الخميس عن كتاب المنتقى للمحدث سعيد بن
مسعود بن محمد الكازرونى وكذلك عند الشيخ نجم الدين الرازى من
كتاب منارات السائرين وعند الشيخ محيي الدين فى تلقيح الاذهان وبلغة
الخواص زيادة وحين خلقه أقامه قدامه في مقام القرب اثنى عشر ألف
سنة ثم جعله أربعة أقسام الخ ومن المعلوم ان القرب المعنوى فرع
المعرفة بالله وهي للانبياء انما تحصل بالتعريف الالهى لا بالفكر كما سيجيء
بيانه فيما بعد ان شاء الله تعالي • والتعريف الالهى علي ما صرح به أهل
الكشف الصحيح لا يكون الا كلاما بخلق الله بعد اسماعه العلم
الضرورى فى السامع وظاهر ان أول التعريفات أن يعرفه أنه ربه وان
لااله غيره وهو معنى أخذ الميثاق كما سيجيء فى حديث أبي بن كعب
فى شرح قوله (واعلم كما قد قال فى الكتاب) البيت • اذا تمهد هذا فنقول
قد دل حديث الشعبي المذكور أنه استنبيء حين أخذ منه الميثاق وقد
دل حديث جابر بزيادته التي عند صاحب المنتقى وغيره على ان أخذ
الميثاق منه كان حين خلقه واقامته مقام القرب فينتج أنه استنبيء حين
خلقه واقامته مقام القرب وكلما كان كذلك كانت نبوته سابقة علي
كتابتها في الذكر وعلى خلق العرش والماء بل على خلق اللوح والقلم
فان اقامته مقام القرب كانت قبل ان يقسم التقسيم الاول المنفصل منه اللوح
والقلم والعرش وأخذ الميثاق منه كان حين تلك الاقامة في مقام القرب
والاستنباء كان حين أخذ الميثاق • وبالله التوفيق خالق الانفس والآفاق

(فان قلت) حديث جابر دل على ان نور النبي صلى الله عليه وسلم أول مخلوق وأنه منه تفصل الكائنات علوا وسفلا ٠ وحديث أبي هريرة يدل على ان الذى كذلك هو الماء وهو ما أورده الحافظ أبو الفضل جلال الدين السيوطي رحمه الله في كتاب الدر المنثور حيث قال فى قوله تعالى (وجعلنا من الماء كل شيء حي) أخرج أحمد وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقى فى الاسماء والصفات عن أبي هريرة قال قلت يارسول الله اذا رأيتك طابت نفسي وقرت عيني فأنبئني عن كل شيء قال كل شيء خلق من الماء ٠ وحديث أبي رزين الآتي في أحد وجهيه وهو ان يكون اين سوالا عن المكان المغاير لذى الاين مغايرة حقيقية لا اعتبارية يدل على ان أول مخلوق هو السماء ففي الدر المنثور وأخرج الطيالسي وأحمد والترمذي وحسنه وابن ماجه وابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ في العظمة وابن مردويه والبيهقي في الاسماء والصفات عن أبي رزين قال قلت يارسول الله أين كان ربنا قبل ان يخلق خلقه قال كان فى عماء ماتحته هواء وما فوقه هواء وخلق عرشه على الماء ٠ ووجه دلالته على ماذكرناه ان أين سؤال عن المكان ومن المعلوم المعروف ان المكان غير الكائن فيه مغايرة غير اعتبارية بل حقيقية وقد صح كان الله ولم يكن معه شيء غيره فكل ماسوى الله فهو مخلوق حادث ومن لوازم ذلك ان يكون الحق سبحانه غير متحيز ومع ذلك فان النبي صلى الله عليه وسلم لم ينكر على الصحابي سؤاله بأين بل أقره عليه وأجاب بما

أجاب فدل ذلك ان الحق وان لم يكن متحيزاً صح ان ينسب اليه كينونته في مكان على وجه يليق بجلال ذاته وهو دليل على ان أين في لغة العرب ليس مختصاً بالسؤال عن حصول الجسم في المكان بل للسؤال عن حصول الموجود في الحيز على الوجه اللائق بذلك المسؤل عنه فيعم ماليس بجسم ولا جوهر ولا يلزم من حدوث المكان المستلزم لحدوث تلك النسبة قيام الحوادث بذات الحق سبحانه لان ذلك الحصول في الحيز صفة اعتبارية لا وجودية وتجدد الاعتبارات متفق على صحته بين العقلاء كما صرح به في المواقف • فنقول اذا كان العالم حادثا بجميع أجزائه وقلنا ان أين سؤال عن المكان على الوجه المعروف من كونه مغايراً لصاحبه مغايرة حقيقية والحق مع كونه غير متحيز يصح ان ينسب اليه الاين على الوجه اللائق بجلال ذاته ظهر لك ان المراد بالخلق في قول الصحابي قبل ان يخلق خلقه ما سوى المكان الذي سئل عنه بأين مع اعتقاد ان ذلك المكان أيضاً مخلوق حادث واذ قد أجيب عن سؤاله بالعماء فالعماء أول مخلوق هذا على تقدير حمل أين على الوجه المذكور المستلزم لتخصيص الخلق بما سوى المكان المسؤل عنه وأما على تقدير عموم الخلق لجميع ما سوى الله تعالى من المخلوقات فيكون أين سؤالا عن مظهر التجلي وعليه تكفي المغايرة الاعتبارية للسؤال عنه بأين • والمعنى حينئذ في أي مظهر كان متجلياً ربنا قبل ان يخلق خلقه أي حيث كان الله ولم يكن شيء غيره فالعماء على هذا يفسر بما فسره أهل التحقيق من انه عبارة عن المظهر الجامع

للحقائق الالهيـة والـكونية وهو إما التعين الثانى المسمى بالواحدية وحضرة قاب قوسين وإما التعين الاول المسمى بالاحدية وبمقام أوأدنى فان الاحدية جامعة للحقائق كلها إجمالا والواحدية تفصيلا هذا وعلى الوجه الاول فما وجه الجمع بينهما (قلت) وجه الجمع ان يقال المراد بالماء والعماء هو نور النبي صلى الله عليه وسلم عبر عنه بأسماء مختلفة للاشارة الى جامعيته واشتماله على اعتبارات مختلفة ولا استبعاد في تسمية النور ماء فان الله قـد سمى القرآن نوراً حيث قال وأنزلنا اليكم نوراً مبيناً ثم سماه ماء في قوله أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقـدرها بناء على ما فى الدر المنثور من قوله أخرج أبو الشيخ عن ابن عيينة في الآية قال أنزل من السماء قرآنا فاحتملته عقول الرجال انتهى وهو صلى الله عليه وسلم في أول مراتب خلقه وان لم يكن ماء عنصرياً ولـكنه ماء نوراني كالقرآن متضمن للماء العنصري وغيره من الـكائنات التى ستنفصل منه بتقدير العزيز العليم انتهت عبارة المحقق الـكوراني * واذا تأملتها بنظر الدقـة تحقق وظهر لديك ان الموجود الخارجي بالنظر لاوليته شيء واحد وهو النور المحمدى وبالنظر لابديته أشياء متعـددة لا تتناهى الى حـد وحصر وهو الموجود من العالم بأسره الي وقتنا هذا وما سيوجد منه فى المستقبل وكل ذلك علواً وسفلا أجزاء لذلك النور المقدس إما منفصلة منه مخلوقة بالفعل وهو ما دخل فى حيطة الوجود الخارحى وإما ستنفصل وتخلق مما انفصل منه فيما بعد وان الله قد أقام ذلك النور المحمـدي فى مقام القرب المعنوى الذي هو فرع المعرفة

بالله الحاصلة بالتعريف الالهى بكلامه القديم وهو عين النبوة وكان ذلك قبل التقسيم الاول باثنى عشر ألف سنة فثبت المطلوبان كونه صلى الله عليه وسلم أصل العالم في حضرة الاعيان والايجاد الخارجى وكونه نبياً مفاضاً عليه كمالات النبوة من المعارف والعلوم الالهية عند بدء الخلق أعنى به خلق نوره المحمدى وان ذلك كان بالفعل لابالقوة وبالله التوفيق *

﴿المسئلة الثانية﴾ فى تحقيق كونه صلى الله عليه وسلم رسولا ومبعوثا الى من قبله من الانبياء والامم كما انه رسول ومبعوث الي من في عصره ومن بعده من الثقلين والملائكة الى يوم القيامة • وتمام ذلك فى مطلبين (المطلب الاول) في تفسير قوله تعالى واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم الآية وفي الاحاديث الواردة في تفسيرها مما يتعلق بما اليه سقنا الحديث * أما تفسيرها فهو ما نلخصه من كلام البيضاوي وحاشيته للشهاب الخفاجي رحمهما الله تعالى فنقول قال جل ذكره (واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه) لما كان الله عهد الى جميع خلقه بالايمان سواء الانبياء وغيرهم احتاج تخصيص الانبياء بالذكر فى هذه الآية الى التوجيه فوجهه المفسرون بوجوه (منها) ان وجه تخصيص الانبياء بأخذ الميثاق عليهم أن يعلم منه أخذ الميثاق على غيرهم من الامم بالاولى فيكون ايذانه بغيرهم بطريق برهانى وهو أقوى وأبلغ (ومنها) أن المعنى انه سبحانه وتعالي أخذ الميثاق من النبيين وأممهم واستغنى

يذكرهم عن ذكر الامم فهو من باب الاكتفاء وهو قريب من الاول (ومنها) أن لفظ الميثاق مصدر واضافته الى النبيين من اضافة المصدر الى فاعله والمعنى واذ أخذ الله الميثاق الذي وثقه الانبياء على أممهم (ومنها) انه على حذف مضاف والتقدير واذ أخذ الله ميثاق أمم النبيين أو أولاد النبيين والمراد بهم بنو اسرائيل لكثرة أولاد الانبياء فيهم ولان السياق في شأنهم (ومنها) أن المعنى واذ أخذ الله ميثاقا مثل ميثاق النبيين أى ميثاقا غليظاً ثم جعل ميثاقهم نفس ميثاقهم بحذف اداة التشبيه مبالغة واللام فى لما موطئة للقسم وهى التي تدخل الشرط غالباً بعد تقدم قسم لفظاً أو تقديراً لتؤذن ان الجواب له لا للشرط وانما كانت اللام هنا موطئة للقسم لان أخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف وما تحتمل الشرطية ولتؤمنن به جواب ساد مسد جواب الشرط لدلالته عليه واتحاد معناهما وتحتمل الموصولية ودخول اللام الموطئة للقسم على هذا الاحتمال لامانع منه لانه يجوز دخولها على غير الشرط عند بعض النحاة لاسيما اذا كان مشابهاً للشرط كما الموصولة هنا وعلى الموصولية فهى مبتدأ والخبر اما مقدر أو جملة لتؤمنن به ولتنصرنه وعليه فالضميران عائدان الى الرسول ولا يضر خلو الجملة عن الرابط بالمبتدا الذى هو ما لان الرسول لما كان مصدقاً لما معهم وهو عين ما فى لما آتيتكم كان الضمير العائد اليه في حكم الضمير العائد الى ما المذكورة فارتبط الكلام بعضه ببعض ولذلك نظائر في التنزيل وقرأ حمزة لما بكسر اللام على أن ما مصدرية والمعنى لاجل ايتائى اياكم بعض الكتاب ثم مجيء رسول مصدق أخذ الله

الميثاق لنؤمنن به ولتنصرنه أو موصولة والمعنى أخذه للذي آتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى أى عهدى وسمى العهد اصراً لان الاصر ما يشد ويعقد به فى المحسوس والعهد مايشد به ويعقد به فى المعنى فهو مجاز قالوا أقررنا قال فاشهدوا أي فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وأنا معكم من الشاهدين أي وأنا أيضاً على اقراركم وتشاهدكم شاهد وهو توكيد وتحذير عظيم فمن تولى بعد ذلك أي بعد الميثاق والتوكيد بالاقرار والشهادة فأولئك هم الفاسقون المتمردون من الكفرة * وأما الاحاديث الواردة فى تفسيرها مما يتعلق بما اليه سقنا الحديث فهى ماذكره الامام الحافظ أبو الفضل عبد الرحمن السيوطي فى كتاب الدر المنثور في التفسير بالمأثور حيث قال وأخرج ابن جرير عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال لم يبعث الله نبياً آدم فمن بعده الا أخذ عليه العهد في محمد لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ويأمره فيأخذ العهد على قومه ثم تلا واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة الآية * وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن قتادة فى الآية قال هذا ميثاق أخذه الله على النبيين ان يصدق بعضهم بعضاً وأن يبلغوا كتاب الله ورسالاته فبلغت الانبياء كتاب الله ورسالاته الي قومهم وأخذ عليهم فيما بلغتهم رسلهم أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويصدقوه وينصروه * وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن السدى فى الآية قال لم يبعث الله نبياً قط من لدن نوح الا أخذ الله ميثاقه ليؤمنن بمحمد ولينصرنه ان خرج وهو حي

والا أخذ على قومه أن يؤمنوا به وينصروه ان خرج وهم أحياء * وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس فى الآية قال ثم ذكر ما أخذ عليهم يعنى على أهل الكتاب وعلى أنبيائهم من الميثاق بتصديقه يعنى بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم اذ جاءهم واقرارهم به على أنفسهم * وأخرج أبو يعلى عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسألوا أهل الكتاب عن شئ فانهم ان يهدوكم وقد ضلوا إنكم إما أن تصدقوا بباطل واما أن تكذبوا بحق وانه والله لو كان موسى حياً بين أظهركم ما حل له الا أن يتبعنى * وأخرج ابن جرير عن على بن أبى طالب فى قوله فاشهدوا يقول فاشهدوا على أممكم بذلك وأنا معكم من الشاهدين عليكم وعليهم فمن تولى عنك يا محمد بعد هذا العهد من جميع الامم فأولئك هم الفاسقون هم العاصون في الكفر * فهذه الاحاديث والآثار صريحة في أن الميثاق المذكور فى الآية الكريمة الميثاق الذى أخذه الله سبحانه وتعالى على جميع النبيين أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وينصروه ويتبعوه في شرعه ان بعث وهم أحياء وكذلك أممهم * ولا ينافي ذلك ماذكره السيوطي في تفسيرها أيضاً فقال وأخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن طاوس في الآية قال أخذ الله ميثاق النبيين أن يصدق بعضهم بعضاً * واخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر من وجه آخر عن طاوس في الآية قال أخذ الله ميثاق الاول من الانبياء ليصدقن وليؤمنن بما جاء به الآخر منهم لان الله سبحانه وتعالى كما أخذ الميثاق على جميع

النبيين ان يصدق بعضهم بعضاً وان يؤمن الاول بما يأتي به الآخر أخذ عليهم أيضاً ميثاقاً خاصاً ان يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وينصروه ناصاً على اسمه العلم تمييزاً له بين عمومهم واعلاء لقدره ومنزلته على سائرهم وكل من الميثاقين مراد من الآية العلية وداخل في عمومها وواقع متحقق اذ لا تنافي بينهما وبذلك ثبت المطلوب * ولا ينافيه أيضاً ماذكره السيوطي هناك فقال وأخرج أحمد عن عبد الله ابن ثابت قال جاء عمر الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله اني مررت بأخ لي من قريظة فكتب لي جوامع من التوراة الا أعرضها عليك فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر رضينا بالله رباً وبالاسلام ديناً وبمحمد رسولا فسرّي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال والذي نفس محمد بيده لو أصبح فيكم موسى ثم اتبعتموه لضللتم انكم حظي من الامم وأنا حظكم من النبيين لان قوله صلى الله عليه وسلم انكم حظي من الامم معناه انكم حظي من الامم بالنظر الى الواقع في عالم الوجود والظهور اذ بعثت وأنتم الأحياء الموجودون فتعلقت رسالتي بكم وتوجه خطاب شرعي اليكم بالفعل فلا يمنع عموم رسالته الى من قبله من الانبياء والامم بمعني انه كان يجب عليهم الايمان به واتباعه على شرعه لو خرج وبعث وهم أحياء كما أخذ عليهم الميثاق بذلك وبالله الارشاد والهداية *

﴿ المطلب الثاني ﴾ في ذكر كلام الامام شيخ الاسلام تقي الدين السبكي في الآية المذكورة المشتمل على ما يستنبط منها من المعاني

والاحكام فنقول قال الحافظ جلال الدين السيوطي رحمه الله في كتاب الخصائص الكبرى (فائدة) قال الشيخ تقي الدين السبكي في كتابه التعظيم والمنه في لتؤمنن به ولتنصرنه في هذه الآية من التنويه بالنبي صلى الله عليه وسلم وتعظيم قدره العلي مالا يخفى *وفيه مع ذلك انه على تقدير مجيئه في زمانهم يكون مرسلا اليهم فتكون نبوته ورسالته عامة لجميع الخلق من زمن آدم الى يوم القيامة وتكون الانبياء وأممهم كلهم من أمته ويكون قوله وبعثت الى الناس كافة لا يختص بالناس من زمانه الى يوم القيامة بل يتناول من قبلهم أيضاً ويتبين بذلك معنى قوله صلى الله عليه وسلم كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد وان من فسره بعلم الله بأنه سيصير نبياً لم يصل الى هذا المعنى لان علم الله محيط بجميع الاشياء ووصف النبي صلى الله عليه وسلم بالنبوة في ذلك الوقت ينبغي أن يفهم منه انه أمر ثابت له في ذلك الوقت ولهذا رأى آدم اسمه مكتوبا على العرش محمد رسول الله فلا بد أن يكون معنى ثابتاً في ذلك الوقت ولو كان المراد بذلك مجرد العلم بما سيصير في المستقبل لم تكن له خصوصية بانه نبي وآدم بين الروح والجسد لان جميع الانبياء يعلم الله نبوتهم في ذلك الوقت وقبله فلا بد من خصوصية للنبي صلى الله عليه وسلم لاجلها أخبر بهذا الخبر اعلاماً لامته ليعرفوا قدره عند الله فيحصل لهم الخير بذلك *قال (فان قلت) أريد أن أفهم ذلك القدر الزائد فان النبوة وصف لابد أن يكون الموصوف به موجودا وانما يكون بعد بلوغ أربعين سنة أيضاً فكيف يوصف به قبل وجوده وقبل ارساله وان صح ذلك

فغيره كذلك (قلت) قد جاء ان الله خلق الارواح قبل الاجساد فقد تكون الاشارة بقوله كنت نبياً الى روحه الشريفة أو الى حقيقته والحقائق تقصر عقولنا عن معرفتها وانما يعلمها خالقها ومن أمده بنور إلهى ثم ان تلك الحقائق يؤتى الله كل حقيقة منها ما يشاء في الوقت الذي شاء فحقيقة النبي قد تكون من قبل خلق آدم آتاها الله ذلك الوصف بأن يكون خلقها متهيئة لذلك وأفاضه عليها من ذلك الوقت فصار نبياً وكتب اسمه على العرش وأخبر عنه بالرسالة ليعلم ملائكته وغيرهم كرامته عنده فحقيقته موجودة من ذلك الوقت وان تأخر جسده الشريف المتصف بها واتصاف حقيقته بالاوصاف الشريفة المفاضة عليه من الحضرة الالهية حاصل من ذلك الوقت وانما يتأخر البعث والتبليغ ٠ وكل ماله من جهة الله ومن جهة تأهل ذاته الشريفة معجل لا تأخير فيه وكذلك استنباؤه وإيتاؤه الكتاب والحكم والنبوة وانما المتأخر تكونه وتنقله الى أن ظهر صلى الله عليه وسلم وغيره من أهل الكرامة قد تكون افاضة تلك الكرامة بعد وجوده بمدة كما يشاء سبحانه ولا شك ان كل ما يقع فالله عالم به من الازل ونحن نعلم علمه بذلك بالادلة العقلية والشرعية ويعلم الناس منها ما يصل اليهم عند ظهوره كعلمهم بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم حين نزل عليه القرآن في أول ما جاءه جبريل وهو فعل من أفعاله تعالى من جملة معلوماته ومن آثار قدرته وارادته واختياره في محل خاص يتصف بها ٠ فهاتان مرتبتان الاولى معلومة بالبرهان ٠ والثانية ظاهرة للعيان ٠ وبين المرتبتين وسائط من أفعاله تعالى

تحدث على حسب اختياره • منها ما يظهر لهم بعد ذلك • ومنها ما يحصل به لذلك المحل وان لم يظهر لاحد من المخلوقين وذلك ينقسم الى كمال يقارن ذلك المحل من حين خلقه والى كمال يحصل له بعد ذلك ولا يصل علم ذلك الينا الا بالخبر الصادق والنبي صلى الله عليه وسلم خير الخلق فلا كمال لمخلوق أعظم من كماله ولا محل أشرف من محله فعرفنا بالخبر الصحيح حصر ذلك الكمال من قبل خلق آدم لنبينا صلى الله عليه وسلم من ربه وان اعطاءه النبوة من ذلك الوقت ثم أخذ له المواثيق على الانبياء ليعلموا انه المقدم عليهم وانه نبيهم ورسولهم • وفي أخذ المواثيق وهي في معنى الاستحلاف ولذلك دخلت لام القسم في لتؤمنن به ولتنصرنه لطيفة أخرى وهي كأنها أيمان البيعة التي تؤخذ للخلفاء ولعل أيمان الخلفاء أخذت من هنا فانظر هذا التعظيم العظيم للنبي صلى الله عليه وسلم من ربه سبحانه وتعالى فاذا عرفت ذلك فالنبي صلى الله عليه وسلم هو نبي الانبياء ولهذا ظهر ذلك في الآخرة جميع الانبياء تحت لوائه وفي الدنيا كذلك ليلة الاسراء صلى بهم ولو اتفق مجيئه في زمن آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى وجب عليهم وعلى أممهم الايمان به ونصرته وبذلك أخذ الله الميثاق عليهم فنبوته عليهم ورسالته اليهم معنى حاصل له وانما أمره يتوقف على اجتماعهم معه فتأخر ذلك الامر راجع الى وجودهم لا الى عدم اتصافهم بما تقتضيه • وفرق بين توقف الفعل على قبول المحل وتوقفه على أهلية الفاعل فهنا لا توقف من جهة الفاعل ولا من جهة ذات النبي صلى الله عليه وسلم الشريفة انما

هو من جهة وجود العصر المشتمل عليه فلو وجد في عصرهم لزمهم اتباعه بلا شك ولهذا يأتي سيدنا عيسى في آخر الزمان على شريعته وهو نبي كريم على حاله لا كما يظن بعض الناس انه يأتي واحدمن هذه الامة نعم هو واحد من هذه الامة لما قلنا من اتباعه للنبي صلى الله عليه وسلم وانما يحكم بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن والسنة • وكل ما فيهما من أمر ونهي فهو متعلق به كما يتعلق بسائر الامة وهو نبي كريم على حاله لم ينقص منه شيء وكذلك لو بعث النبي صلى الله عليه وسلم في زمانه أو زمان موسى وابراهيم ونوح وآدم كانوا مستمرين على نبوتهم ورسالتهم الى الامم والنبي صلى الله عليه وسلم نبي عليهم ورسول الي جميعهم فنبوته ورسالته أعم وأشمل وأعظم وتتفق مع شرائعهم في الاصول لانها لا تختلف وتقدم شريعته صلى الله عليه وسلم فيما عساه يقع الاختلاف فيه من الفروع اما على سبيل التخصيص واما على سبيل النسخ أو لا نسخ ولا تخصيص بل تكون شريعة النبي صلى الله عليه وسلم فى تلك الاوقات بالنسبة الي أولئك الامم ماجاءت به أنبياؤهم وفى هذا الوقت بالنسبة الي هذه الامة هذه الشريعة والاحكام تختلف باختلاف الاشخاص والاوقات • وبهذا بان لنا معنى حديثين كان خفيا عنا (أحدهما) قوله صلى الله عليه وسلم بعثت الى الناس كافة فظن انه من زمانه الي يوم القيامة فبان انه جميع الناس أولهم وآخرهم (والثانى) قوله صلي الله عليه وسلم كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد كنا نظن انه بالعلم فبان انه زائد على ذلك كما شرحناه وانما يفترق الحال بين ما بعد وجود جسده صلى الله

عليه وسلم وبلوغه الاربعين وما قبل ذلك بالنسبة الى المبعوث اليهم وتأهلهم لسماع كلامه لا بالنسبة اليه ولا اليهم لو تأهلوا قبل ذلك وتعليق الاحكام على الشروط قد يكون بحسب المحل القابل وقد يكون بحسب الفاعل المتصرف فههنا التعليق انما هو بحسب المحل القابل وهو المبعوث اليهم وقبولهم سماع الخطاب والجسد الشريف الذى يخاطبهم بلسانه وهذا كما يوكل الاب رجلا فى تزويج ابنته اذا وجدت كفوا فالتوكيل صحيح وذلك الرجل أهل للوكالة ووكالته ثابتة وقد يحصل توقف التصرف على وجود كفء ولا يوجد الا بعد مدة وذلك لا يقدح فى صحة الوكالة وأهلية التوكيل انتهى كلام السبكي بلفظه انتهى كلام السيوطى * واعلم ان عبارة الامام السبكي المذكورة من بديع استنباطاته الدالة على كثرة اطلاعه وطول باعه وقد سبقه الى بعض ما فيها الامام الهمام البارزى فى كتابه توثيق عرى الايمان وأشار الى مضمونها اجمالا الهمام البوصيرى فى بردته بقوله

وكل آى أتى الرسل الكرام بها * فانما اتصلت من نوره بهم

فانه شمس فضل هم كواكبها * يظهرن أنوارها للناس فى الظلم

ونقلها السيوطي في الخصائص كما علمت وأقرها والقسطلانى فى المواهب المواضع المهمة منها وأقرها وتلقتها فحول العلماء بالتحسين والقبول اذ كانت فى غاية التحقيق والاتقان ودائرة على محور قواعد الاصول الشرعية . والعجب ان الشهاب الخفاجي فى شرح الشفا تعقبها بأمور موهومة غير واردة على خلاف عادته المعروفة من التحقيق والانصاف

(منها) انه يلزم من العبارة المذكورة الحكم على الانبياء السابقين بأنهم كانوا مكلفين بأحكام شريعته صلى الله عليه وسلم وان النصوص العقلية والنقلية ناطقة بخلافه (قال) الا ترى الى قوله تعالى (انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده وما فى معناها من الآيات قال وكيف يتأتى ذلك مع قوله تعالى (أن اتبع ملة ابراهيم حنيفاً) فانه عكسه وقد طلب موسى أن يكون من أمته فأجابه الله بقوله استقدمت واستأخر ولكن سأجمع بينك وبينه في دار الجلال انتهى * ولا يخفى ان هذا تعسف كما قال الزرقاني في شرح المواهب أي لانه انما قال لو اتفق مجيئه فى زمن آدم ونوح وابراهيم وموسي وعيسى وجب عليهم اتباعه وهذا حكم صحيح ويؤيده الحديث الذى سبق نقله برواية أبي يعلى عن جابر رضي الله عنه من قوله صلى الله عليه وسلم وانه والله لو كان موسى حياً بين أظهركم ما حل له الا أن يتبعني • قال الزرقاني ومن أقوى تعسفه قوله غير مكلفين بأحكام شرعه فانه لم يدع تكليفهم به بل ان شرائعهم على تقدير وجوده فى أزمانهم شرع له فيهم فاعتبروا يا أولى الابصار انتهي • اذا علمت ذلك فقول الشهاب ان قوله أى السبكي على تقدير مجيئه فى زمانهم يكون مرسلا اليهم الى آخره لا معنى له هو الذى لا معني له (ومنها) ان من فسر حديث كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد بالعلم يقال مراده علم أظهره الله لغيره من الملائكة والارواح تشريفاً له صلى الله عليه وسلم أي فلا وجه لقول السبكي من فسره بعلم الله بأنه سيصير نبياً لم يصل الى هذا المعنى الى آخره * وأنت ترى ان ماذكره فى

معنى العلم على هذا التفسير زيادة من عنده نتيجتها علم الملائكة والارواح بانه سيكون نبياً وهي وان ترتب عليها تعظيم وتشريف له صلى الله عليه وسلم لا يحصل بها التشريف الذي قصده السبكي من افاضة النبوة عليه صلى الله عليه وسلم بالفعل فهي زيادة خارجة عن صدد كلام السبكي فهما من واديين مختلفين قصداً ووجهة وما أجدره بان يقال له سارت مشرقة وسرت مغرباً البيت (ومنها) وهو غريب جداً ان قول السبكي في حق عيسى عليه الصلاة والسلام انه يأتي في آخر الزمان على شريعته وهو نبي كريم جمع بين الضب والنون فيتوجه أن يقال اذا كان الجمع بين كون عيسي تابعاً لشريعته صلى الله عليه وسلم وبقائه على نبوته كالجمع بين الضب والنون في البعد والاستحالة فما القريب الممكن عندك لا يكون الا أحد أمور ثلاثة كونه تابعاً لشريعة نبينا صلى الله عليه وسلم وليس نبياً أو كونه نبياً وليس تابعاً لها بل على شريعة جديدة أو كونه نبياً وعلى عين شريعة نبينا صلى الله عليه وسلم لكن لا على طريق التابعية له صلى الله عليه وسلم بل بامر إلهي جديد ووحي جديد (فأما الاول) ففيه سلب وصف النبوة عن عيسي عليه الصلاة والسلام وهذا هو الذي يقتضيه كلام الشهاب في حاشيته على البيضاوي عند قوله تعالي وخاتم النبيين فانه لما قال البيضاوي ولا يقدح فيه نزول عيسي بعده لانه اذا نزل كان على دينه مع ان المراد انه آخر من نبئ قال الشهاب بعد كلام فالظاهر ان المراد من كونه على دينه انسلاخه عن وصف النبوة والرسالة بأن يبلغ ما بلغه عن الوحي وانما يحكم بما يأتي

عن نبينا ولذا لم يتقدم لامامة الصلاة مع المهدي فلا يتوهم ورود ما ذكر بوجه انتهي * فاذا علمت ان هذا الاحتمال فيه سلب وصف النبوة عن عيسى عليه الصلاة والسلام وظهر لك من كلام الشهاب المذكور انه الشق المختار عنده تعين ذكر البرهان الذي يبطله فنقول قال السيوطي في الدر المنثور في تفسير وخاتم النبيين : أخرج ابن مردويه عن ثوبان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم انه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي * وأخرج أحمد عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في أمتي كذابون ودجالون سبعة وعشرون منهم أربع نسوة واني خاتم النبيين لا نبي بعدي * وأخرج ابن أبي شيبة عن عائشة رضي الله عنها قالت قولوا خاتم النبيين ولا تقولوا لا نبي بعده * وأخرج ابن أبي شيبة عن الشعبي رضي الله عنه قال قال رجل عند المغيرة بن شعبة صلى الله على محمد خاتم النبيين لا نبي بعده فقال المغيرة حسبك اذا قلت خاتم الانبياء فانا كنا نحدث ان عيسى عليه السلام خارج فإن هو خرج فقد كان قبله وبعده . فالحديثان السابقان يعارضهما الحديثان الاخيران ويجمع بينهما بأن المنفي وجوده بعده صلى الله عليه وسلم نبي لم يكن نبياً قبله صلى الله عليه وسلم ومجيء نبي من الانبياء السابقين برسالة مستقلة وشريعة ناسخة أو موافقة لشرعه صلى الله عليه وسلم فهذان الامران منفيان لا يكونان لاحد بعده وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم لا نبي بعدي وقوله تعالى وخاتم النبيين . ومن ثم قال ابن جرير وخاتم النبيين

الذي ختم النبوة فطبع عليها فلا تفتح لاحد بعده الى قيام الساعة
انتهي • والمثبت هو وجود نبي اتصف بالنبوة قبل مبعثه وتقررت له
فهو مستمر على صفة النبوة التي أنعم الله بها عليه لا ينسلخ عنها لا في الدنيا
ولا في الآخرة غير انه لا يتجدد له وحي بأمر أو نهي وانما غاية أمره
أن يتبع شرع خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم وهذا هو شأن
عيسى عليه الصلاة والسلام عند نزوله وكذا الخضر والياس على القول
بحياتهما الآن • وهذا معنى حديث عائشة وحديث المغيرة السابقين اذلو
كان عيسي ينسلخ عن وصف الرسالة والنبوة لما نهيا عن قول لا نبي
بعده كما هو جلي وقد أشار الى حاصل ذلك العلامة نظام الدين النيسابوري
في تفسير الآية المذكورة فقال ومجيء عيسى عليه السلام في آخر الزمان
لا ينافي ذلك لانه ممن نبئ قبله وهو يجيء على شريعة نبينا مصلياً الى
قبلته وكانه بعض أمته انتهي ــ والعلامة أبو السعود فقال ولا يقدح فيه
نزول عيسى بعده عليهما السلام لان معنى كونه خاتم النبيين انه لا ينبأ
أحد بعده وعيسى ممن نبئ قبله وحين ينزل انما ينزل عاملا على شريعة
محمد صلى الله عليه وسلم مصلياً الى قبلته كانه بعض أمته انتهى • فانظر
الى قولها في عيسي انه ممن نبيء قبله لدفع معارضة الآية وقولها كانه
بعض أمته فلو كان منسلخاً حينئذ عن وصف الرسالة والنبوة لكان
دفع المعارضة بذلك أظهر وأتم ولان كاف التشبيه لا يؤتى بها الا بين
شيئين متغايرين من بعض الوجوه ولو كان عيسى كذلك لم يكن للكاف
موقع بين وبالتدبر فيما وضحناه يظهر لك بطلان ما ادعاه الشهاب من

انسلاخ عيسى حين نزوله عن وصف النبوة والرسالة وهو مع ذلك فيه خطر عظيم لمن تأمل* وهناك أدلة أخري تبطل دعواه المذكورة طوينا نشرها خوف الاطالة ولا ريب انها زلة قلم منه لم يقارنها حسن تدبر والله أعلم * ويلزم على الثاني نسخ شريعة نبينا عند نزوله وهو مخالف لما أجمع عليه المعلوم من الدين بالضرورة وهو استمرار شرعه صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة* وعلى الثالث ان كان أهل عصر نزول عيسى مأمورين باتباع عيسى كان هو رسولهم لا نبينا ولا يخفى بطلانه وان كانوا غير مأمورين باتباعه كان منافياً لحكمة نزوله ولما صرحت به الاحاديث الصحيحة من انه ينزل في هذه الامة حكما عدلا وفى رواية حكما مقسطاً مع استلزامه على الاحتمالين انتهاء رسالة نبينا قبل انقضاء مدة الدنيا بالنسبة الى عموم أهل ذلك العصر أو بالنسبة الي عيسى عليه السلام وحده ويكون حكم القرآن في ذلك العصر كحكم التوراة بعد موسى عليه الصلاة والسلام بالنسبة الى أنبياء بنى اسرائيل الى بعثة عيسى عليه الصلاة والسلام ولا يخفى بطلانه ومصادمته للمعلوم من الدين بالضرورة ولما هو المتيقن من خصوصية نبينا بدوام حكم رسالته الى الناس كافة الي يوم القيامة • فتبين بهذا التقرير الواضح عدم سلامة الامور الثلاثة من المحذور العظيم وتعين ما قاله الامام السبكى فليس جمعاً بين الضب والنون بل هو جمع بين الفرقدين والفرق دان (ومنها) ان قول السبكى في معنى قوله صلى الله عليه وسلم كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد فقد تكون الاشارة الى روحه الشريفة أو الى حقيقته

والحقائق تقصر عقولنا عن معرفتها الى آخر العبارة ـ ان أراد بالحقيقة فيه روحه رجع الى ما قبله وان أراد غيره فأمر لا يعقل عند من خلع ربقة التقليد من جيده انتهى * ويجاب بانا نختار انه أراد بالحقيقة غير الروح وله معنى معقول محقق واضح عند من خلع ربقة التقليد من جيده بأن يراد بحقيقته صلى الله عليه وسلم في هذا المقام ذرته المباركة المقدسة التي أخرجت من ظهر آدم وهو بين الروح والجسد ولا ينافيه ان الذر أخرج من ظهر آدم بعد نفخ الروح فيه على مادل عليه أكثر الاحاديث لان ذرته صلى الله عليه وسلم دون سائر الذر أخرجت من ظهر آدم وهو بين الروح والجسد وأخذ منها الميثاق وأفيض عليها النبوة حينئذ خصوصية له صلى الله عليه وسلم لانه المقصود من خلق النوع الانساني وخلاصته وواسطة عقده * ودليل ذلك ما رواه ابن سعد عن الشعبي قال رجل يا رسول الله متى استنبئت قال وآدم بين الروح والجسد حين أخذ مني الميثاق كما فى المواهب اللدنية قال فهذا يدل على انه من حين صور آدم طيناً استخرج منه محمد صلي الله عليه وسلم ونبئ وأخذ منه الميثاق ثم أعيد الي ظهر آدم انتهي * ومن المعلوم المحقق ان الذى أخرج من ظهر آدم فى تلك الحالة انما هي الذرة المقدسة المذكورة وهي غير الروح يقيناً وهي حقيقة من الحقائق التى تقصر عقولنا عن معرفتها فطابقت معنى عبارة الامام السبكى بلا ريب ٠ قال الزرقاني في شرح المواهب وادعى بعض ان ما ذكره السبكى أى في معني حديث وبعثت الى الناس كافة من ان الناس لا يختص بناس زمانه الى يوم القيامة بل يتناول

من قبلهم أيضاً غريب لا يوافقه عليه من يعتد به والجمهور على ان المراد بالكافة ناس زمانه فمن بعدهم الى يوم القيامة • قال الزرقاني ودفعه شيخنا لما ذكرته له بانه لا ينافي كلام الجمهور الا اذا أريد التبليغ بالفعل أما اذا أريد بالبعث اتصافه بكونهم مأمورين في الازل بأن يتبعوه اذا وجد كما هو صريح كلامه فلا يخالفه أحد فضلا عن الجمهور انتهى * وبهذا التحقيق الكافي والتدقيق الوافي انجلت تلك الايرادات الوهمية • عن العبارة السبكية العلية • وبدت أنوارها واضحة جلية • فجزي الله السبكي الذى أتقن سبكها خيراً موفوراً • وجعل سعيه مشكوراً • وله الحمد على ما أنعم وألهم • وبعد الوصول الي هذا الموضع رأيت فى شرح الشفا للشهاب فى أثناء كلامه على حديث أبي هريرة رضى الله عنه المذكور في الفصل الاول من الباب الثالث من الشفا عبارة تشتمل على موافقة الشهاب لكثير مما أنكره على السبكي فى العبارة السابقة • ولفظ الحديث قال قالوا متى وجبت لك النبوة قال وآدم بين الروح والجسد فقال الشهاب بعد كلام وليس المعنى انه كان نبياً فى علم الله كما قيل لانه لا يختص به بل ان الله خلق روحه قبل وسائر الارواح وخلع عليها خلعة التشريف بالنبوة اعلاماً للملأ الاعلى به * واذا كانت النبوة صفة لروحه علم انه صلى الله عليه وسلم بعد موته نبي ورسول ولا يضر انقطاع الاحكام والوحي وقد أكمل دينه وانكار ذلك جهل فاحفظه فانه نفيس جداً • وهذا هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى خلق نوره قبل أن يخلق آدم عليه الصلاة والسلام باربعة عشر الف عام كما رواه ابن القطان

وفى رواية يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه • وهذا يؤيد انه صلى الله عليه وسلم مرسل الى الملائكة كغيرهم فهذا صريح فى ان نبوته صلى الله عليه وسلم ظهرت فى الوجود العينى قبل نبوة آدم وغيره وان الملائكة لم تعرف نبياً قبله وانه صلى الله عليه وسلم النبي المطلق وسائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام خلفاؤه والشرائع شريعته ظهرت على لسان كل نبى بقدر استعداد أهل زمانه فهو صلى الله عليه وسلم أول الانبياء وآخرهم ولا يمكن أن يجرى على شريعته قلم نسخ ولا يكتب على نسخة رسالته حواشي زيادة كما قيل

أبداً حديثي ليس بالمنسوخ الا في الدفاتر

وقيل انه صلى الله عليه وسلم سابق على سائر الانبياء روحاً لما مر وجسدا لان مادة جسده صلى الله عليه وسلم خلقت قبل سائر المواد لما روى ابن الجوزي في الوفا عن كعب الاحبار انه تعالى لما أراد أن يخلق محمداً صلى الله عليه وسلم أمر جبريل عليه السلام أن يأتيه بالطينة البيضاء فهبط فى ملائكة الفردوس وقبض قبضة من موضع قبره بيضاء نيرة فعجنت بماء التسليم في معين الجنة حتى صارت كالدرة البيضاء لها شعاع عظيم ثم طافت بها الملائكة حول العرش والكرسى والسموات والارض حتى عرفته الملائكة قبل أن تعرف آدم عليه الصلاة والسلام أي عرفت روحه وعنصره انتهى * فتأمله تجده معترفاً بكثير مما اعترضه وأنكره علي الامام السبكي وهو غريب جداً وبالله التوفيق *

﴿ خاتمة نسأل الله الكريم الرحيم حسنها ﴾

(اعلم) أيها المؤمن الصادق أيدك الله بالتوفيق والاستقامة ان الله جلت نعمه لما أكمل لسيد أنبيائه وأكمل أصفيائه المزايا على الوجه البديع المذكور وقد تحقق لديك ذلك بالبراهين الواضحة وتبين عندك انه صلى الله عليه وسلم أب معنوى للارواح والاجسام السماوية والارضية كان الجدير بالسيادة والتقدم والتفضيل على جميع الخلق وبان يفوض اليه أمر الخلافة الاصلية الالهية العامة وأن يكون المبلغ العام عن خالق العالم الى جميع خلقه وأن يكون متصرفاً باذن الله فى العالم كله ملكه وملكوته بالتربية والسياسة وبان يسخر له ربه بقدرته الباهرة جميع أجزاء العالم سواء كان ذا روح أو غيره وتنقاد له وتطيعه طاعة الرعية لراعيها والفرع لاصله وأن يختصه ربه بخصائص من ملكه وملكوته ويجعله مستبداً بها دون من سواه من أهل كرامته وقربه فلهذه الحكمة البالغة كان صلى الله عليه وسلم أكثر الرسل معجزة وأبهرهم آية وأظهرهم برهاناً. وما أوتي رسول معجزة الا وقد أوتى صلى الله عليه وسلم مثلها أو مايفوقها في نوعها كما أثبت ذلك علماء الاسلام فى كتبهم المصنفة في هذا المقصد الاعلى وعمت معجزاته . فمنها ما هو من عالم الملكوت أو يتعلق به . ومنها ما يتعلق بعالم الافلاك والعناصر . ومنها ما يتعلق بعالم الجماد والنبات والحيوان . وها أنا ذا أشير الى مهماتها بطريق الايجاز لانها لكثرتها لا يحيط بها حد . ولا يحصرها عد .

(فأقول) أما معجزته من عالم الملكوت فالقرآن العظيم وكلام الله القديم الذى هو تنزيل من الحكيم الحميد من عالم الغيب الى عالم الشهادة فى مثال بديع وتركيب منيع معجز للخلق أجمعين وغيره من الرسل وان أنزلت عليهم كتب الهية هي أيضاً من كلام الله القديم لكنها ليست فى هذا المثال بل جميع كتبهم يمكن أدنى الفصحاء أن يأتي بمثلها اذ لااعجاز في لفظها ووجوه اعجاز القرآن كثيرة لاتحصر • فمنها حسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحته ووجوه ايجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب • ومنها صور: نظمه العجيب وأسلوبه الغريب المخالف لاساليب كلام العرب شعراً ورجزاً وخطباً وسجعاً فانك ترى مقاطع آياته وفواصل كلماته لانظير لها لاقبلها ولا بعدها ولا استطاع أحد مماثلتها في شئ منها • ومنها ماانطوى عليه من الاخبار بالمغيبات وما لم يكن ولم يقع فوجد كما أخبر ومن شهادته على اليهود بانهم لايتمنون الموت وعلى قريش بانهم لايأتون بسورة من مثله فلم يتمن اليهود الموت ولا أتت قريش بسورة من مثله • ومنها أخباره عن القرون الماضية والامم البائدة والشرائع الدارسة مما كان لايعلم القصة الواحدة منها الا الفذ من أحبار أهل الكتاب مع ان الآتي بذلك أمى لايقرأ ولا يكتب • ومنها كونه آية باقية لاتعدم مابقيت الدنيا لتكفل الله القاهر بحفظه وصيانته عن التحريف والتبديل وهذه المعجزة هي معجزته العظمى وأم معجزاته • وكانت من نوع الكلام لتكون مستمرة على تعاقب السنين كما ان رسالته مستمرة الى يوم الدين لتحصل المناسبة بين المعجزة والرسالة فبقيت ببقائها وكان من بلاغه

القرآن رأى محمداً صلى الله عليه وسلم وليكون أكثر الرسل تابعاً ولذلك قال عليه الصلاة والسلام مامن نبي من الانبياء الا وقد أوتى مامثله آمن عليه البشر وانما كان الذى أوتيت وحياً يوحي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة * ومن معجزاته المتعلقة بعالم الملكوت الاسراء به على البراق من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى والعروج به الي السموات العلى ثم الى مستوى يسمع فيه صريف أقلام الغيب بما اشتمل عليه ذلك من رؤية ربه ورؤيته آيات ربه الكبرى وامداد الله اياه بالملائكة وقتالهم أعداءه فى بدر وغيره ورؤيته جبريل في صورته الاصلية له ستمائة جناح وأخباره مع الجن وايمانهم به وأخباره بالغيوب التي لاتحصى مما ليس في القرآن وهي معجزة متواترة وعصمة الله اياه من الناس وكفه عنه اذا هم • والاخبار فى ذلك كثيرة وجمع الله له المعارف والعلوم بجميع مصالح الدنيا والدين ممارسة بين أمته وعلمهم اياه كما يعلم تفصيله من استقراء سيرته واجابة دعائه وهي أيضاً معجزة متواترة لكثرة رواتها فى أنواع كثيرة * ومما يتعلق بعالم العناصر والافلاك انشقاق القمر وقد ذكر في القرآن ووردت به الاحاديث الصحيحة عن جمع من الصحابة وأجمع عليه المفسرون وأهل السنة • ورد الشمس بعد غروبها حين وضع رأسه في حجر على وهو يوحى اليه ففاتت علياً صلاة العصر بغروبها فدعا ربه فطلعت بعدما غربت روى ذلك من طريقين رجالهما ثقات • وحبس الشمس له حين أخبر قريشاً بعد عوده من الاسراء بالرفقة والعلامة في العير وانها تأتي يوم الاربعاء فكادت

تغرب ولم تأت فدعا فزيدت له ساعة من النهار بحبسها عن السير في فلكها • روى ذلك عن الثقات • ونبع الماء من بين أصابعه وتكثيره ببركته وتفجيره وانبعاثه ورواياته كثيرة كادت تكون متواترة * ومما يتعلق بالجماد والنبات تسبيح الحصى في كفه والطعام حين يؤكل معه وسلام الحجر والشجر عليه وشهادتهما له بالرسالة • وتأمين اسكفة الباب أى عتبته لدعائه وثبات جبل أحد بعد رجفانه حين رقاه وأبو بكر وعمر وعثمان لما قال له اثبت أحد فانما عليك نبي وصديق وشهيدان • ومثله فى حراء ومعه على وطلحة والزبير لما قال له انما عليك نبي أو صديق أو شهيد وسقوط الاصنام باشارته اليها بقضيب بدون مس يوم الفتح وهو يقول جاء الحق وزهق الباطل الآية وكانت ثلثمائة وستين صنما حول الكعبة • وإخبار الذراع اياه انها مسمومة فى خيبر وخبره صحيح مشهور • وتكثير الطعام ببركته ودعائه • وسعي الشجر لدعوته • ونباته فى فم الغار فى قصته • وحنين الجذع اليه وحديثه مستفيض كالمتواتر * ومما يتعلق بالحيوان شهادة الضب له بالرسالة وبانه خاتم النبيين بلسان مبين وشهادة الذئاب والطير في وقائع عديدة بانه رسول الله • وطاعة الغنم برجوعها الى أهلها بلا راع حين أسلم راعيها يوم خيبر • وأمره صلى الله عليه وسلم ان يحصب وجوهها فسارت كل شاة منها الى أهلها • وسجود الغنم له فى حائط انصاري حين رآه • وسجود بعير له وانقياد آخر كان مستصعبا على أهله يشد على من دخل عليه فدعاه فأتى اليه ووضع مشفره على الارض وبرك نخطمه • ووقوف الحمامتين فى فم الغار • ونسج

العنكبوت على بابه ليلة الغار وشهادة الصبيان الذين لم يبلغوا أوان النطق له بالرسالة الى غير ذلك مما هو مفصل في كتب الائمة الأعلام المؤلفة فى فن المعجزات والاعلام وتفاصيل ذلك ببيان طرقها وقصصها يستدعي مجلدات وكفانا مؤنة ذلك الموفقون له من العلماء الأعلام شكر الله سعيهم الجميل • وانا لهم الجزاء الجزيل • فكانت معجزاته صلى الله عليه وسلم وانقسامها الي تلك الاقسام وظهورها من أنواع أجزاء العالم نتيجة أصلية لها لعموم بعثته الى الاولين والآخرين فتم له صلى الله عليه وسلم بذلك المجد الذي دونه كل مجد أولا وآخراً أزلا وأبداً بتقدير العزيز العليم • وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم • وكأن الطغرائي وصف هذا المجد العلى الدائم حيث قال

مجدى أخيراً ومجدى أولا شرع * والشمس رأد الضحى كالشمس في الطفل

ويناسب هذا المقام ذكر ما في الشفا عن ابن عباس رضي الله عنهما لما خلق الله آدم أهبطني الي الارض فى صلبه وجعلني في صلب نوح فى السفينة وقذف بي في النار فى صلب ابراهيم ثم لم يزل ينقلني في الاصلاب الكريمة الى الارحام الطاهرة حتى أخرجنى بين أبوي لم يلتقيا على سفاح قط * والي هذا أشار العباس عمه فيه يقول

من قبلها طبت في الظلال وفى * مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لابشر * أنت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد * ألجم نسراً وأهله الغرق

وردت نار الخليل مكتتماً * تجول فيها ولست تحترق
تنقل من صالب الى رحم * اذا مضى عالم بدا طبق
حتى احتوى بيتك المهيمن من * خندف علياء تحتها النطق
وأنت لما ولدت أشرقت الا * رض وضاءت بنورك الافق
فنحن فى ذلك الضياء وفي النـور وسبل الرشاد نخترق

ومعنى هذه الابيات من قبلها أي من قبل هذه النشأة أو الدنيا طبت أي تطهرت من الادناس البشرية لطيب عنصرك فى الظلال أى ظلال الجنة حين كنت في صلب آدم قبل ان يهبط الى الارض وفي مستودع بضم الميم وفتح الدال أى محل كان به آدم وحواء من الجنة حيث يخصف الورق أي في المكان الذي يخصف فيه الورق أي يلصق بعضه ببعض وذلك المكان هو الجنة لان آدم في الجنة كان يلصق الورق بعضه ببعض ليستتر به قبل ان يعلم الحيا كة ثم هبطت فى صلب آدم من الجنة الى البلاد أي الارض * ولما كان المراد من هبوطه هبوط نور قال لابشر أنت أى غير جسد كأجساد البشر ولا مضغة أي ولا قطعة لحم بمقدار اللقمة ولا علق أى ولا دم منجمد من النطفة بل نطفة صافية أى في صلب نوح . تركب السفين جمع سفينة أى تركب سفينة نوح في صلبه وقد ألجم أى صار كاللجام لوصوله الى الفم نسراً أي الصنم الذي يسمي نسراً وكان يعبده كفار قوم نوح وأهله أي أهل نسر وهم الذين يعبدونه الغرق أى ماء الطوفان الذى كان به الغرق * وردت نار الخليل أي فى صلبه حين ألقى

في النار مكتنفاً بصيغة اسم المفعول أي محفوظاً تجول فيها ولست تحترق لقول الله تعالى يانار كوني برداً وسلاماً على ابراهيم * تنقل من من صالب أي صلب أب الى رحم أم • اذا مضي عالم أي قرن بدا طبق أي قرن آخر حتى احتوى أي حاز بيتك أي شرفك المهيمن أي الشاهد على فضلك من خندف أي القبيلة المسماة خندف وهي امرأة الياس علياء أي رتبة علياء من الشرف تحتها النطق جمع نطاق وأصلها الجبال وشبه بها شرف القبائل أي دونها كل شرف • وقوله تحترق أي تغدو وتروح

(وهذا) آخر ما قصدنا جمعه وتحقيقه • وتهذيبه وتنميقه • في ايضاح الحقيقة المحمدية • وما ناسبها من المزايا القدسية • والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله • وصلى الله على سيدنا محمد عظيم الخلق والجاه • وسيد كل تقي • ومرشد كل غوي • وناسخ كل ملة مشروعه • وفاسخ كل نحلة متبوعه • والمجتبى من أفخر القبائل • والمصطفى من أطهر الفضائل • ومفتاح كل معسور • ومصباح كل ديجور • وعلى آله مصابيح الدجى • ومفاتيح الهدى • وأصحابه أزمة الحق • وأئمة الخلق • وهداة الضالين • وعداة المضلين

(قال شيخنا المؤلف حفظه الله) وقع الفراغ من تبييضه لخمس بقين من رجب سنة ألف وثلاثمائة واثنتين وعشرين من هجرة خير البشر صلى الله وسلم عليه بالعشايا والبكر • والحمد لله على نعمه السابغة الكبر •

(صورة ما وجد بآخر الاصل بخط المؤلف فسح الله في أجله ونفع به)

قد رددت النظر في هذه السطور المحررة في هذه النسخة المنقولة من نسختنا الاصلية بقدر الامكان فالمرجو صحة غالبها كتبه مؤلفها السيد أحمد البرزنجي الحسيني الموسوي مفتي الشافعية بمدينة خير البرية عليه أفضل الصلاة وأزكى التحية والحمد لله رب العالمين *

تم بحمد الله وعونه طبع هذه الرسالة الجليلة المسماة (التحقيقات الاحمدية في بيان الحقيقة المحمدية) مصححة على النسخة المكتوبة على نسخة المؤلف بعناية أحد تلامذته الشيخ أحمد أبي الخير المكي الحنفي الاحمدي غفر الله له ولمشايخه لخمس مضين من رجب سنة ١٣٢٦ من الهجرة النبوية على صاحبها الصلاة والتحية *
على ذمة ملتزم طبعها حضرة محمد
امين الخانجي الكتبي وشركاه *
حفظه الله تعالى واياهم وأطال
بقاه وبقاهم آمين والحمد
لله رب العالمين

****

﴿ ترجمة المؤلف ﴾

هو الشيخ العلامه • المحقق الفهامه • مدرس المسجد النبوي • الذي هو بكل مايوصف به حري • مولانا السيد أحمد البرزنجي • مفتي الشافعية • بمدينة خير البرية • ابن مفتيها السيد اسمعيل بن العلامة الفهامة الاديب السيد زين العابدين ناظم مولد جده • ابن محمد الهادي بن زين بن محمد بن حسن بن السيد المظلوم عبد الكريم المدفون بجدة ابن العلامة الكبير • والمسند الشهير • السيد محمد بن رسول بن عبد السيد بن عبد الرسول الحسيني الموسوي الشافعي المدني • الشهير نسبه الكريم بالبرزنجي لكون جده الاعلى السيد محمد ابن رسول احد مجددي القرن الحادي عشر كان من برزنج قرية من قرى شهرزور من بلاد الاكراد • وهو الذي انتقل منها الي المدينة المنورة وتديرها • وأولد بها • وقد ترجم له غير واحد من العلماء في كتبهم كالعياشي في رحلته • والحموي في نتائجه • والذهبي في نفحاته • والسيد البيتي في شذوره • والسيد المرادي في سلكه • وغيرهم في غيرها من مؤلفاتهم • وله تآليف مفيده • ورسائل عديده • من أشهرها الاشاعه • في اشراط الساعه • وشيوخه كثيرون ذكر المرادي بعضهم ولم يستوعبهم • وقد رزقه الله علماً مؤيدا • وذرية صالحة علماء فضلاء • الي عصرنا هذا • أشهرهم السيد جعفر بن حسن البرزنجي المدني • مؤلف المولد النبوي • والمعراج المصطفوي • وجامع أسماء أهل بدر وأحد • ومن بعده السيد زين العابدين

البرزنجي ناظم مولد جده • ثم * السيد اسمعيل البرزنجي المدني ولما تغلب الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدى على البلاد الحرمية خرج السيد اسمعيل المذكور من المدينة مع جماعة من أهلها وذلك في سنة ١٢٢٣ كما ذكره مولانا السيد احمد دحلان المكي رحمه الله تعالى ووصل الى ديار الكرد من سواد العراق فسكنها وتزوج بابنة واليها وأقام هناك مبجلا معظما محتشما مكرما مدة خمس وأربعين سنة • ثم اشتاق الرجوع الى مسقط رأسه وبلده • وموطن أبيه وجده • فتوجه فى رجب سنة ١٢٦٩ ووصل من طريق الشام الى مصر بأهله وأولاده • وترك عياله بمصر يطلبون العلم بالازهر وتوجه بنفسه الى دار السلطنة العلية • وامتدح مولانا السلطان عبد المجيد خان بقصيدة سنيه • واستحصل منصب افتاء الشافعية • بالمدينة النبوية • فرجع الى مصر وارتحل بأهله وعياله الى ان أتى المدينة وكان وصوله اليها فى أوائل رجب سنة ١٢٧١ هجريه وبعد مدة من دخوله المدينة نزل عن منصب الفتوى لنجله الا كبر مولانا السيد جعفر وذلك في سنة ٧٨ فتقلدها وجاءه التأييد بها من الاستانة العلية • فباشرها الى آخر عمره • ثم بعد وفاته تقلدها أخوه المترجم • حفظه الله تعالى وعليه ألهم • وهو مباشر لها الى الآن • ومسند المدينة المنورة ومدرس مسجدها والمشار اليه بالبنان • اسأل الله الكريم • الرؤف الرحيم • ان يمتعنا بحياته • وينفعنا والمسلمين بعلومه وبركاته • آمين * هذا * والسادة البرزنجيون • ببلاد الكرد وغيرها كثيرون • وبالفضل والصلاح معروفون • ومن نسل الامام موسى الكاظم مشهورون •

والى الامير الكبير • والولي الشهير • على الهمدانى صاحب الاوراد الفتحية ينتمون • (قال السيد مرتضى) عند سوق سنده للطريقة الهمدانية • من كتابه عقد الجوهر الثمين • فى ذكر طرق الالباس والتلقين • بانها شعبة من الكبرويه • منسوبة الى الامام القطب سيدى على الهمدانى الحسيني وهو جد السادة البرزنجية بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام اه (وذكر) في ذيل المشجر الذى بخطه المحفوظ بالكتبخانة الخديوية بمصر عند خط السيد اسمعيل بن موسى الكاظم مالفظه * وانتسب الى اسمعيل بن موسى الكاظم القطب سيدي على الهمداني • وهو ابن يوسف بن منصور بن عبدالعزيز ابن عبد الله بن اسمعيل هذا — وعقبه ببرزنج — انتمى اليه السيد محمد بن عبد الرسول مجدد القرن الحادى عشر — كتبه محمد مرتضى الحسينى اه (ثم كتب) تلوه ماصورته * صوابه اسمعيل بن موسى ابن اسمعيل بن موسى الكاظم اه أراد ان عبد الله والد عبدالعزيز هو ابن لاسمعيل الثاني الذي هو حفيد اسمعيل الاول • وعلى كل حال فانتماؤهم الى الكاظم صحيح متصل متواتر • ولا عبرة بمن قدح في نسبهم • من أهل عصرهم • عداوة وحسدا • وعدوانا وظلما • لان المعاصرة • كما قيل سبب المنافرة • وقد نص العلماء على ان جرح المعصريين بعضهم فى بعض غير مقبول • وهو كلام حسن ومعقول • عصمنا الله تعالى من شرور أنفسنا • وحفظنا من سيآت أعمالنا آمين والحمد لله رب العالمين

°